# ديوان الدفاع عن السيدة

## أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

طلال مساعد العامر

**فهرسة**

**مكتبة الكويت الوطنية أثناء النشر**

ردمك :

رقم الإيداع :

ردمك :



الطبعة الأولى

١٤٣٢هـ / ٢٠١١م

**مبرة الآل والأصحاب**

هاتف : ٢٢٥٦٠٢٠٣ - ٢٢٥٥٢٣٤٠ فاكس : ٢٢٥٦٠٣٤٦

ص. ب : ١٢٤٢١ الشامية الرمز البريدي ٧١٦٥٥ الكويت

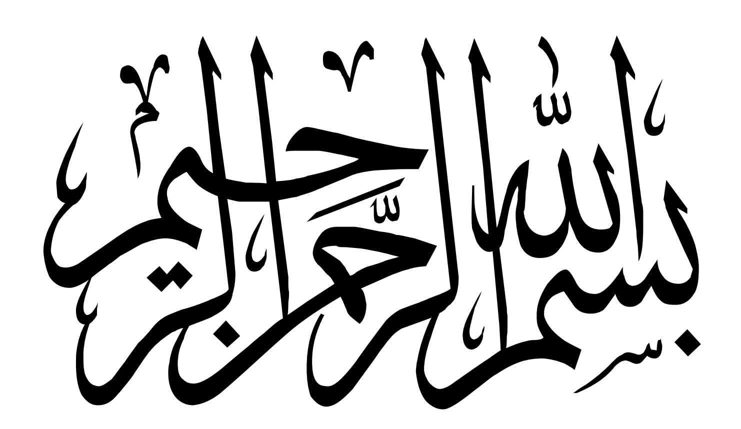
E-mail : almabarrh@gmail.com

www.almabarrah.net

## إهـداء

إلـيـكِ مـن طـيـف أحـلامـي لإدراكـي
ومـن قـيـود الأسـى أرنـو لأخـراكِ
أهـديـكِ يـا ربَّـةَ الأخـلاق قـاطـبـةً
سـفـراً يـشـيـدُ ويـشـدو فـي مـزايـاكِ
أهـديـكِ حـبًـا وتـكـريـمًـا ومـعـرفـةً
وصـلًا لأسـبـاب دنـيـانـا بـدنـيـاك
قـد أنـزلَ الـلهُ فـيـكِ الـذكـرَ تـبـرأةً
مـن قـول كـلِّ ضـعـيـفِ الـنـفـسِ أفّـاك
يـتـلى مـدى الـدهـر لا تـبـلى مـحـاسـنُـهُ
فـالـلهُ بـالـطـيـب فـي الـقـرآن سـمّـاك
وصـفـتِ تجـربـةَ الـصـبـرِ الـجـمـيـلِ لـنـا
مـمّـا تـعـانـيـن حـتـى صـارَ مـعـنـاك
يـا أمُّ أهـديـكِ فـيـضًـا مـن خِـلالِك مـن
آدابـك الـغـر مـن إيـثـارك الـزاكـي
هـذي بـضـاعـتـكـم ردت لـكـم ولـنـا
مـنـهـا لـسـان الـوفـا يـتـلو سـجـايـاك

# الفهرس


بسم الله الرحمن الرحيم

## مقدمة

### سيرة ملهمة:

كانت شخصية الرسول ﷺ وسيرته الطاهرة ولا زالت مصدر إلهام للحركة الأدبية في مختلف عصور تاريخ الأدب العربي، سواء أكان على صعيد الإبداع الأدبي أم على صعيد الفنون الأدبية.

وقد دشن هذه المسيرة الأدبية، وهذا اللون الإبداعي، كوكبة من صحابة رسول اللَّه ﷺ من شعراء الدعوة الأولى، من أمثال حسان بن ثابت وكعب ابن مالك وكعب بن زهير وغيرهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم أجمعين، واستمر هذا الإبداع حيناً من الدهر حتى انتقل إلى ربوة أخرى رفع لواءه فيها البوصيري في ميميته وتلاه معارضوه، فبدأنا نتفطن إلى مواضع من السيرة الشريفة سُلطت عليها أضواء الشاعرية واكتنفتها مواجيد الشعراء، تأمل هذا المشهد من سيرة الرسول ﷺ العطرة من قول البوصيري:

**وما حوى الغار من خير ومن كرم ... وكل طرف من الكفار عنه عمى**

**فالصدق في الغار والصديق لم يَرِما ... وهم يقولون ما بالغار من أَرِم**

**ظنوا الحمام وظنوا العنكبوت على ... خير البرية لم تنسج ولم تحم**

**وقاية اللَّه أغنت عن مضاعفة ... من الدروع وعن عال من الأطم**

وهكذا ما إن تنتهي حقبة حتى يتسلم راية المديح النبوي شعراء مبدعون في حقبة ثانية، حتى جاء عصر النهضة وهو مثقل بتبعات تخلف الماضي

القريب وجموده، فأصبح المديح النبوي على خلاف ما كان سائداً عند شعراء الطرق الصوفية، بل صار مديحًا لبطل مخلِّص، يرفع إسار الظلم ونير الطغيان، يكافح ويرسم الخطط، ويوحد الجهود المبعثرة، ويرص الصفوف، وباسم الإسلام يقود الناس إلى الحرية والأمن والسلام.

وعلى هذا التصور تلاقت إبداعات الشعراء في العصر الحديث، ولا تستغرب إن وجدت من شعراء النصارى من نطقت شاعريته مديحًا في المصطفى ﷺ ينافس فيه بعض المسلمين، خذ مثالًا على ذلك قول الشاعر عبداللَّه يوركي حلاق وهو شاعر نصراني:

**قبس من الصحراء شعشع نوره ... فجلا ظلامَ الجهلِ عن دنيانا**

**ومضى ففي أردانه عبق الهدى ... وأريجُ فضل عطر الأكوانا**

**إني مسيحيٌّ أُجِل محمدًا ... وأراه في سفر العلى عنوانا**

**وأطأطئ الرأس الرفيع لذكر من ... صاغ الحديث وعلم القرآنا**

وستقف في كتابنا هذا على إبداع لبعض شعراء الإسلام صاغوا فيه السيرة النبوية فنًا وإبداعًا، كالشاعر أحمد محرم في ديوان مجد الإسلام، والشاعر المسرحي عزيز أباظة في ديوانه (من إشراقات السيرة الزكية)، وغيرهما.

### حديث الإفك بلغة الأدب:

كانت بعض مواضع من السيرة العطرة أو بعض الشخصيات فيها محط نظر بعض الأدباء والشعراء ومثار اهتمامهم؛ كمولد النبي ﷺ والهجرة النبوية والإسراء والمعراج وغزوة بدر وأحد وشخصية علي بن أبي طالب وعمر ابن الخطاب وسلمان الفارسي رضي اللَّه عنهم أجمعين.

يؤكد ما تقدم بحث نفيس للباحثة الألمانية أنماري شيمل جاء فيه قولها:

ولدينا من القصائد ما لا يعيه الحصر، ليس بالعربية فقط بل كذلك بالفارسية والتركية والأوردية ويشار فيها إلى اسم بدر، حيث دارت الموقعة الشهيرة التي حقق فيها المسلمون أول انتصار حاسم، أما موقعة خيبر والتي حقق فيها علي بن أبي طالب نصراً مبيناً فنلتقي بها مرات ومرات في التراث الأدبي للعالم الإسلامي[١].

وقد وجدت أن حديث الإفك لأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، كان ملتقى إبداع عدد من الشعراء والأدباء في عصور مختلفة.

فهذا محمد بن فرج السبتي الشاعر يقول عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها:

**وعائشةٌ بنتُ الحبيب عتيقٍ المصدِّقِ إيعادَ الرسولِ ووعدهُ**

**فريدةُ نسوان الوجود مناقبا متى يَبْلَ ذكرٌ صالح تستجدُّهُ**

**عليمةُ أهل العلم شمسُهُمُ التي جَلَتْ سدَف الجهل المضلِّ وسدَّهُ[٢]**

وابن جابر الأندلسي العالم اللغوي الشاعر (ت: ٧٨٠هـ) في قوله:

**وإن امرأ بغض الصحابة شأنه لأبعد خلق اللَّه عن رشد مرشد**

**بغيض إلى رب السماوات خائب عدو لخير الخلق غير مسدد**

**ولو أنه يُجزى بقطع لسانه لقلّ له من فاجر متمرد**

**فإن سب أمَّ المؤمنين بما به براءتُها جاءت فألحدُ مُلْحِدِ**

---

(١) جغرافية الشعراء ص(٧).

(٢) أزهار الرياض في أخبار عياض(٣/ ٢٥٩).

**فنحمدُ رباً قد وقانا من الردى    وبرأنا من قبح هذا التــورد**[١]

وقال فيها السيد عبدالحميد الخطيب رحمه الله في تائيته:

**أعني بها محبوبة المختار عائشة    الـتـي امـتـازت بـخـيـر صـفـات**

**إذ أكـرمَ الـمـولـى الـنـبـيَّ بـهـا    وأطلعه عليها قبل في زينات**

**وبـنـى بـهـا فـي سـن تـسـع ثـم    علمها ففازت منه بالحكمات**

**وغدت بحق أعلم الزوجات بل    هـي مـرجـع الـفـتـيـا وخـيـر رواة**

**وهـي الـتـي بـالإفـك قـد رمـيـت    فبرأها الإله بمحكم الآيات**[٢]

وحق لهذا الحديث - حديث الإفك - أن يثير لواعج الشعراء ويستخرج مكامن الوجدان والإبداع لديهم، فهو:

- طليعة فن السيرة الذاتية تحدثت به رضي الله عنها عن تجربة شخصية فريدة ومعاناة خاصة.

- قد صيغ صياغة أدبية رفيعة تدل على الثقافة الأدبية التي تتمتع بها راويته رضي الله عنها .

- راويته أديبة فصيحة خطيبة راوية للشعر تحفظ فيما تذكر للبيد ألف بيت وهو أقل مما تحفظ لسواه.

- حدثت بعده - أي حادث الإفك - وبعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم أحداث سياسية عنيفة، وافترقت الأمة إلى أحزاب وفِرَق زادت من قيمة هذا الحديث،

(١) شعر ابن جابر الأندلسي ص(٦٥).
(٢) تائية الخطيب في سيرة المصطفى الحبيب ص(٤٢).

خصوصاً على الصعيد الطائفي.

وفي تطوافي بين كتب السيرة والتاريخ والأدب عثرت على نوادر وتحف من القصائد والآداب، وكان من بين ما عثرت عليه في فترات متباعدة باقة رائعة من قصائد وصفت حديث الإفك بخيال الشاعر ولغة الأديب.

قمت بجمع هذه القصائد وهي تنتمي إلى عصور مختلفة، ثم قدمت لها مقدمات اقتضاها الموضوع، وهي الترجمة لأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها مع تسليط الضوء على الجانب الأدبي لديها.

ثم أوردت حديث الإفك مشروحاً من صحيح البخاري، وذيلت عليه بتعليقات بعض الأدباء والمفكرين.

وبعد ذلك أتيت بالقصائد ورتبتها زمنياً من القديم إلى الحديث، كما أنني ترجمت لشعرائها ترجمة تتناسب مع موضوع الكتاب، وشرحت بعض مفردات القصائد ما أمكنني ذلك.

ويظهر لي واللّه أعلم أن الذين كتبوا شعراً عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أو عن حديث الإفك كثير، وقد اطلعت على بعضه - سوى ما اخترت في كتابي - فوجدت أنه متردد بين أمرين قلما يتخلصان من بعضهما وهما:

١- أن تكون القصيدة ضعيفة ركيكة يغلب عليها عاطفة كاتبها، أما حصيلتها من الفن الشعري فلا تكاد تذكر، فهذه ليست قصيدة وكاتبها ليس بشاعر، وليس ثمة بعد تاريخي سيستفاد من توثيقها.

٢- أن تكون القصيدة في معرض الرد والمناقصة العنيفة، فربما تجد الشاعر يخرج عن حدود اللياقة والأدب فيكرس الخصومة واللجاجة

ويشتط في المحاجة فيند عن الشاعرية ويوغل بعيدًا عن الإبداع.

لذا فإنني قد تجنبت القصائد التي لم تتخلص من ربقة هذين القيدين اللذين لا يلتقيان مع الشاعرية البتة.

ثم إن هذا الكتاب ليس دراسة جمعية حصرية ببلوغرافية إن جاز التعبير، يقيد فيها الكاتب كل ما وقع تحت يده، لا إنما هو مجرد مختارات تمثل فكري ومنهجيتي وذوقي الأدبي والتي أتصور أنها تلتقي إلى حدٍ كبير مع تطلعات مبرة الآل والأصحاب.

**طلال مساعد العامر**

١٨ جمادى الأول ١٤٣١هـ

١ مايو ٢٠١٠م

# الباب الأول: أم المؤمنين رضي الله عنها سيرة ورسالة

## سيرة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها:

«أم المؤمنين رضي الله عنها» عائشة بنت أبي بكر الصدِّيق، زوجة رسول اللَّه صلى الله عليه وآله وسلم. أم عبد اللَّه التيمية، فقيهة نساء الأمة؛ دخل بها رسول اللَّه صلى الله عليه وآله وسلم في شوال في السنة الأولى(١) وعمرها تسع سنين، وتزوجها قبل الهجرة بسنتين، وقيل: بثلاث، وهي بنت ست، وقيل: بنت سبع، وكانت تُذْكَرُ لجبير بن مطعم وَتُسمَّى له، وكان رسولُ اللَّه صلى الله عليه وآله وسلم قد أُرِيَ عائشة في المنام في سَرَقَةٍ من حرير متوفَّى خديجة، فقال: إن يكن هذا من عند اللَّه يمضه، ثم تزوجها، وتوفي عنها صلى الله عليه وآله وسلم وعمرها يومئذٍ ثمان عشرة سنة؛ قال أبو عمر ابن عبد البر: لم ينكح بكراً غيرها.

واستأذنت رسولَ اللَّه صلى الله عليه وآله وسلم في الكنية فقال لها: اكتني بابنك عبد اللَّه بن الزبير، يعني ابن أختها. وكان مسروق إذا حدَّث عن عائشة قال: حدثتني الصادقة ابنة الصِّديق البريئة المبرَّأة بكذا وكذا. وقال أبو الضحى عن مسروق: رأيت مشيخة أصحاب رسولِ اللَّه صلى الله عليه وآله وسلم الأكابر يسألونها عن الفرائض، وقال عَطاء بن أبي رباح: كانت عائشة رضي الله عنها أفقه الناس وأَعْلَم الناس وأحسن الناس رأياً في العامة. وقال هشام بن عروة عن أبيه: ما رأيت أحداً أعلم بفقه ولا بطب ولا بشعر من عائشة، ما كان ينزل بها

(١) على أصح الأقوال، كما أخرجه ابن سعد ومضى عليه الحافظ ابن حجر في الإصابة.

شيء إلا أنشدت فيه شعراً، وقال الزهري: لو جمع علم عائشة إلى علم جميع أزواج النبي ﷺ وعلم جميع النساء لكان علم عائشة أفضل، وقال عمرو بن العاص: قلت لرسول اللّه ﷺ: أي الناس أحب إليك؟ قال: (عائشة)، قلت: فمن الرجال؟ قال: (أبوها) وقال ﷺ: «فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام»؛ وقالت: قال رسول اللّه ﷺ: «يا عائشة هذا جبريل يقرئك السلام»، فقلت: عليه السلام ورحمة اللّه وبركاته، ترى ما لا أرى. وعنها أن جبريل جاء بصورتها في خرقة حرير خضراء إلى النبي ﷺ فقال: هذه زوجتك في الدنيا والآخرة[١]، وقال رسول اللّه ﷺ: يا أم سلمة لا تؤذيني في عائشة، فإنه واللّه ما نزل علي الوحي وأنا في لحاف امرأة منكن غيرها[٢].

قال ابن عبد البر: أمر النبي ﷺ الذين رموا عائشة بالإفك حين نزل القرآن ببراءتها فجلدوا الحد ثمانين فيما ذكر جماعة من أئمة أهل السير والعلم بالخبر، وقال قوم: إن حسان بن ثابت لم يجلد معهم ولا يصح عنه أنه خاض في الإفك والقذف، ويزعمون أنه القائل (الطويل).

**لقد ذاقَ عبد أُللّه ما كان أهْلَهُ     وحَمْنَةُ إذ قالوا هجيراً ومسطحُ**

عبد اللّه هو عبد اللّه بن أبي بن سَلُول، وآخرون يصححون جَلْدَ حسَّان، ويزعمون أن هذا البيت لغير حسان.

وتوفيت رضي الله عنها سنة سبع وخمسين من الهجرة، وقيل سنة ثمانٍ وخمسين،

(١) رواه الترمذي: ح(٣٨٨٠) وقال هذا حديث حسن غريب.
(٢) رواه البخاري: ح(٣٥٦٤).

وأمرت أن تدفن ليلًا، فدفنت بعد الوتر بالبقيع، وصلى عليها أبو هريرة، ونزل في قبرها خمسة: عبد اللَّه وعروة ابنا الزبير والقاسم بن محمد وعبد اللَّه بن محمد بن أبي بكر وعبد اللَّه بن عبد الرحمن بن أبي بكر؛ وروى لها الجماعة[(١)].

## معلمة الرجال:

ترجم لها أبو اسحاق الشيرازي في باب فقهاء الصحابة في كتابه طبقات الفقهاء، وقد أورد أقوالًا لجلةٍ من صحابة رسول اللَّه ﷺ تشهد بعلو كعبها في العلم، كقول علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : لو كانت امرأة تكون خليفة لكانت عائشة خليفة، وقول أبي موسى الأشعري: ما أشكل على أصحاب رسول اللَّه ﷺ شيء فسألنا عنه عائشة إلا وجدنا عندها منه علماً[(٢)].

وقد جمع الإمام بدر الدين الزركشي أقوال أُمِّنا عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا في كثير من مسائل الفقه والعقيدة في كتابه القيم (الإجابة عما استدركته عائشة على الصحابة) ومن خلال أقوالها فيه واستدراكاتها على الصحابة يظهر بجلاء تقدُّم عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا في العلم على كثير من صحابة رسول اللَّه ﷺ.

وأورد في مقدمة كتابه ما يشير إلى هذا الفضل البهي وهذا الفخر السني حينما قال:

الحمد للَّه الذي جعل فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر

---

(١) الوافي بالوفيات، ج١٦ ص(٣٤١).

(٢) طبقات الفقهاء ص(٤٧).

الطعام، وأعلى أعلام فتواها بين الأعلام، وألبسها حلة الشرف حيث جاءَ إلى سيد الخلق الملك بها في سرقةٍ من حرير في المنام، وأشهد أن لا إله إلا اللَّه وحده لا شريك له شهادة تنظمنا في أبناء أمهات المؤمنين، وتهدينا إلى سنن السنة آمنين، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الذي أرشد إلى الشريعة البيضاء، وأعلن بفضل عائشة حتى قيل: خذوا شطر دينكم عن الحميراء، صلى اللَّه عليه وعلى آله وصحبه صباح مساء، وعلى أزواجه اللواتي قيل في حقهن: (لستُنَّ كأَحَدٍ مِنَ النِّساءِ) صلاة باقية في كل أوان دائمة ما اختلف الملوان.

وبعد، فهذا كتاب أجمعُ فيه ما تفردتْ به الصدِّيقة رضي الله عنها أَو خالفت فيه سواها برأي منها أَو كان عندها فيه سنة بينة، أَو زيادة علم متقنة، أو أنكرت فيه على علماء زمانها، أو رجع فيه إليها أجلة من أعيان أَوانها، أَو حررته من فتوى، أَو اجتهدت فيه من رأي رأَته أقوى[1].

وقد عدَّ الزركشي رحمة اللَّه عليه في كتابه هذا أربعين منقبة لم تكن لغيرها من النساء.

كتب عنها الشيخ الأديب علي الطنطاوي رحمه الله في كتابه رجال من التاريخ يقول: السيدة التي أثبتت للدنيا منذ أربعة عشر قرناً أن المرأة يمكن أن تكون أعلم من الرجال حتى يتعلموا منها، وأن تكون أرجل من الرجال، حتى يقتدوا بها، وأن تكون سياسية، وأن تكون محاربة، وأن تخلف في التاريخ دوياً تتناقل أصداءه العصور.

(١) الإجابة عما استدركته عائشة على الصحابة ص(٢٧).

لم تتخرج من الجامعة، لم تكن في أيامها الجامعات، ولكنها كانت ولا تزال كما كانت تدرس آثارها في كلية الآداب، كما تدرس أبلغ النصوص الأدبية، وتقرأ فتواها في كليات الدين، كما تقرأ الأحاديث النبوية، ويبحث أعمالها كل مدرس لتاريخ العرب والإسلام، امرأة ملأت الدنيا، وشغلت الناس، على مرِّ العصور[١].

**الأديبة الأريبة:**

قطفت من بستان النبوة أزاهير الفصحى، فراض لسانها وراق بيانها، أفادت من نبع البيان الصافي، فأفادت له الكلام البديع الراقي، فتناقلته كتب التاريخ والأدب حتى صار بلغة الناجع ومنية الأديب البارع.

**قطف الرجال القول عند نباته ... وقطفت أنت القول لما نوَّرا**

**فهو المتبع بالمسامع إن مضى ... وهو المضاعَفُ حسنه إنْ كُرِّرا**

قالت السيدة عائشة رضي الله عنها: روّوا أولادكم الشعر تعذب ألسنتهم.

وقال المقداد بن الأسود: ما كنت أعلم أحداً من أصحاب رسول صلى الله عليه وآله وسلم أعلم بشعر ولا فريضة من عائشة رضي الله عنها.

وروى عنها ابن أبي مليكة: أنها كانت تنشد قول لبيد:

**ذهبَ الذين يُعاشُ في أكنافهم ... وبقيتُ في خَلْفٍ كجلد الأجرب**

وتقول: رحم اللَّه لبيداً فكيف لو أدرك زماننا هذا؟

ثم قالت: إني لأروي ألف بيت له، وإنه أقل ما أروى لغيره.

---

(١) رجال من التاريخ ص(٣١).

وأورد الشعبي أن عائشة قالت: رويت للبيد نحواً من ألف بيت، وكان الشعبي يذكرها فيتعجب من فقهها وعلمها ثم يقول: ما ظنكم بأدب النبوة.

وعن هشام عن أبيه قال: ربما روت عائشة القصيدة ستين بيتاً وأكثر[١].

بل إنها كانت تروي لبعض من في عصرها من الشعراء، بل وتحاول أن تتحقق مما ترويه رضي الله عنها، روى ابن سعد في طبقاته عن ابن شهاب قال: فأخبرني إبراهيم بن عبدالرحمن بن أبي ربيعة أنّ أمّه أمّ كلثوم بنت أبي بكر حدّثته عن عائشة قالت: لما كان آخر حجّة حَجّها عمر بأمهات المؤمنين، قالت: إذ صدرنا عن عرفة مررتُ بالمحصّب، سمعتُ رجلًا على راحلته يقول: أين كان عمر أمير المؤمنين؟فسمعتُ رجلًا آخر يقول: ها هنا كان أمير المؤمنين: قال: فأناخ راحلته ثمّ رفع عَقِيرَتَه فقال:

**عليك سَلَامٌ من إمامٍ وبارَكَتْ يدُ اللّه في ذاك الأديمَ المُمَزَّقِ**

**فمنْ يَسْعَ أوْ يَرْكَبْ جَناحيْ نعامةٍ ليُدرِك ما قدّمتَ بالأمس يُسْبَقِ**

**قضيْتَ أموراً ثمّ غادرْتَ بعدها بَوائقَ في أكمامها لم تُفَتَّقِ**

فلم يحرك ذاك الراكبُ ولم يُدْرَ من هو، فكنّا نتحدّث أنّه من الجنّ، قال: فَقَدِمَ عمر من تلك الحجّة فطُعِنَ.

ثم قالت عائشةُ رضي الله عنها: من صاحب هذه الأبيات.

**جزى اللّه خيراً من إمام وباركت**

فقالوا: مزرد بن ضرار، قالت: فلقيت مزرداً بعد ذلك فحلف باللّه ما

(١) الإصابة في تمييز الصحابة(٨ / ٢٣١).

شهد تلك السنة الموسم[١].

وجاء ذكرها في طليعة بليغات النساء وفصيحاتهن في كتاب بلاغات النساء للأديب أبي الفضل طيفور.

ذكرت والدها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا يوماً فاستغفرت وقالت كلاماً بليغاً جاء فيه قولها:

يا طول حزني وشجاي لم ألع على مثكول بعد رسول اللَّه ﷺ لوعي على أبي، طامن المصائب رزؤه، ثم أنشأت تقول:

**إن ماء الجفون ينزحه الهم وتبقى الهموم والأحزان**

**ليس يأسو جوى المرازي ماءٌ سفحتْهُ الشؤونُ والأجفانُ**[٢]

وقد كانت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا حاضرة البديهة في الشعر، تحسن الاستشهاد في البيت من الشعر في الموقف الملائم له، قال أبو بكر بن جعفر بن عمر: لما حَضَرت أبا بكر الوفاة حضرته عائشة وهو يعالج الموت فتمثلت:

**لعمرك ما يُغني الثراءُ عن الفتى إذا حشرجت يوماً وضاق بها الصدر**

فنظر إليها كالغضبان ثم قال: ليس كذلك ولكن: ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ [ق: ١٩][٣].

قال أبو الزناد: ما رأيت أحداً أروى لشعر من عروة بن الزبير فقيل له: ما أرواك يا أبا عبد اللَّه! قال: وما روايتي من رواية عائشة! ما كان ينزل بها شيء إلا أنشدت فيه شعراً[٤].

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد(٣/ ٣٣٣-٣٣٤).
(٢) بلاغات النساء. ص(١٣).
(٣) أدب الخلفاء الراشدين ص(٨١).
(٤) تاريخ دمشق (٤٠/ ٢٥٩).

وقد كان عروة بن الزبير أشد الناس حباً لخالته السيدة عائشة وإعظاماً لها وتوقيراً لسيرتها.

وقد وصفت رضي الله عنها بأنها خطيبة بليغة فصيحةٌ، فعن الأحنف بن قيس قال: سمعت خطبة أبي بكر وعمر وعثمان وعلي والخلفاء بعدهم، فما سمعت الكلام من فم مخلوق أفخم ولا أحسن منه من فيِّ عائشة[1].

وقال موسى بن طلحة: ما رأيت أحداً أفصح من عائشة.

وقد حدث القاسم بن محمد أن معاوية دخل على عائشة فكلمها، قال: فلما قام معاوية، اتكأ على يد مولاها ذكوان، فقال: واللَّه ما سمعت قط أبلغ من عائشة، ليس رسول اللَّه صلى الله عليه وآله وسلم[2].

ولا أدل على بلاغتها من حديث الإفك، وقد وقف منه الرواة وأساطين البلاغة موقف الإعجاب، وسوف نورد حديث الإفك كاملًا في كتابنا هذا.

لكنها رضي الله عنها كانت لها مواقف سياسية من الأحداث الكبرى التي حدثت بعد وفاة عمر رضي الله عنه ، تطلبت منها هذه المواقف خطباً وبيانات تبين فيها عن رأيها، منها خطبتها في يوم الجمل:

أيها الناسُ، صهٍ صهٍ إن لي عليكم حقَّ الأمومةِ وحرمةَ الموعظةِ، لا يتهمني إلا من عصى ربه، مات رسول اللَّه صلى الله عليه وآله وسلم بين سَحري ونحري، وأنا إحدى نسائه في الجنة، له ادخرني ربي وسلمني، وبي ميز بين منافقكم ومؤمنكم، وبي رخص اللَّهُ لكم في صعيد الأبواء، ثم أبي ثالث

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك (٤/ ١٢).

(٢) سير أعلام النبلاء. (٢/ ١٤٧).

ثلاثة من المؤمنين، وثانيَ اثنين اللَّهُ ثالثُهما، وأول من سُمِّي صدِّيقاً، مضى رسولُ اللَّه ﷺ راضياً عنه وطوّقه طوقَ الإمامة، ثم اضطرب حبلُ الدين فمسك أبي بطرفيه ورتق لكم فَتْقَ النِّفاق، وأغاضَ نبع الردة، وأطفأ ما حش يهود وأنتم يومئذ جحظ العيون، تنظرون الغدرة وتسمعون الصيحة فرأبَ الثأيَ، وأوذَمَ العَطَلَة[١]، وانتاشَ من المهواة، واجتحى دفينَ الداء حتى أعطنَ الواردُ وأوردَ الصادرُ، وعلَّ الناهلُ، فقبضه اللَّه واطئاً على هامات النفاق، مُذْكِياً نارَ الحرب للمشركين، وانتظمت بضاعتكم بحبله، ثم ولي أمركم رجلًا مرعياً إذا ركن إليه، بعيد ما بين اللابتين عروكه للأذن بجنسه، صفوحاً عن أذاة الجاهلين، يقظان الليل في نصرة الإسلام، فسلك مسلك السابقة ففرَّق شمل الفتنة، وجمعَ أعضادَها جَمْعَ القِران، وأنا نصب المسألة عن مسيري هذا لم ألتمس إثماً، ولم أدلِّس فتنة أُوطِئْكُموها، أقول قولي هذا صدقاً وعدلًا وإعذاراً وإنذاراً، وأسأل اللَّه أن يصلي على محمد وأن يُخْلِفَهُ فيكم بأفضل خلافة المرسلين[٢] .

ولا يخفى ما في هذه الخطبة من بيان ناصع، وعبارة مشرقة، ولفظ جزل، وثراء في المفردات، فهي بحق خطبة رائعة، وهي تؤكد إعجاب دهاة عصرها وبلغائه ببيانها من مثل معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه والأحنف بن قيس وغيرهما.

- مراجع للمزيد من معرفة شخصيتها الباهرة:

وهذه بعض الكتب التي أفردت في الحديث عنها رضي الله عنها :

(١) رأب الثأي: أصلح الفساد، وأوذم العطلة: أي شد الدلو.
(٢) الدر المنثور في طبقات ربات الخدور(٢/ ٤٨).

١- الإجابة لما استدركته عائشة على الصحابة للإمام بدر الدين الزركشي.

٢- عائشة والسياسة، سعيد الأفغاني.

٣- عائشة أم المؤمنين، زاهية مصطفى قدوره.

٤- السيدة عائشة أم المؤمنين وعالمة نساء الإسلام، عبد الحميد طهماز وهو ضمن سلسلة أعلام المسلمين.

٥- سيرة السيدة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها ، العلامة سليمان الندوي.

٦- الصدِّيقة بنت الصدِّيق للأديب عباس محمود العقاد.

٧- عائشة أم المؤمنين أيامها وسيرتها الكاملة في صفحات، د.محمد سعيد رمضان البوطي.

٨- قال ابن عباس حدثتنا عائشة. د. فهد العربي الحارثي.

٩- حديث الإفك من المنظور الإعلامي، للدكتور علي رشوان.

١٠- صاحبة الحرير الأخضر للدكتور عبدالرحمن العشماوي.

* * *

## الباب الثاني: حديث البراءة

لكي يحسن فهم القصائد وتصور معانيها يتوجب علي إيراد قصة حديث الإفك كما وردت في مجامع الحديث وكتب التاريخ والسير، وقد آثرت إيرادها من صحيح البخاري فهو أصحها، ومعاني القصائد لم تخرج عن ما ورد فيه.

وهذا الحديث يعتبر من روائع القصص، ومن عيون موارد الأدب، فيه دقة اللغة وروعة البيان، وأسلوب القصص البديع الذي صهر الحدث والأشخاص والحوار في بنيان أدبي متماسك.

### نص حديث الإفك:

حدثنا عَبْدُ الْعَزِيزِ بنْ عَبْدِ اللَّهِ: حَدَثَنَا إبْراهيمُ بن سَعْدٍ، عَنْ صَالِحٍ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ قالَ: حَدَثَني عُرْوَةُ بن الزُّبَيْرِ، وَسَعيدُ بن المُسَيِّبِ، وَعَلْقَمَةُ بن وَقَّاص، وَعُبَيْدُ اللَّهِ بنُ عَبْدِ اللَّهِ بن عُتْبَةَ بن مسعود، عَنْ عائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، زَوْجِ النَّبيِّ ﷺ، حِينَ قالَ لَهَا أَهْلُ الإفْكِ ما قالُوا، وَكُلُّهُمْ حَدَّثَنِي طَائِفَةً مِنْ حَدِيثَها، وَبَعْضُهُمْ كانَ أوْعى لِحَدِيثِها مِنْ بَعْض، وَأَثْبتَ لَهُ اقْتِصاصاً، وقَدْ وَعَيْتُ عَنْ كُلِّ رَجُلٍ مِنْهمُ الحَديثَ الذي حَدَّثَنِي عَنْ عَائِشَةَ، وَبَعْضُ حَدِيثِهِمْ يُصَدِّقُ بَعْضاً، وإنْ كانَ بَعْضُهُمْ أوعى لَهُ مِنْ بَعْضٍ. قالُوا: قالَتْ عَائِشَةُ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إذا أَرادَ سَفَراً أَقْرَعَ بَيْنَ أَزْوَاجِهِ، فَأَيَّتُهُنَّ خَرَجَ سَهْمُها خَرَجَ بها رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَعَهُ، قالَتْ عَائِشَةُ: فَأَقْرَعَ بَيْنَنَا في غَزْوَةٍ غَزَاهَا فَخَرَجَ فيها سَهْمي، فَخَرَجْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بَعْدَ ما أُنْزِلَ

الحِجَابُ، فَكُنْتُ أُحْمَلُ في هَوْدَجِي وَأُنْزَلُ فيهِ، فَسِرْنَا حَتَّى إِذَا فَرَغَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ غَزْوَتِهِ تِلْكَ وَقَفَلَ، وَدَنَوْنَا مِنَ المَدِينَةِ قافِلِينَ، آذَنَ لَيْلَةً بِالرَّحِيلِ، فَقُمْتُ حِينَ آذَنُوا بِالرَّحِيلِ، فَمَشَيْتُ حَتَّى جاوَزْتُ الجَيْشَ، فَلَمَّا قَضَيْتُ شَأْنِي أَقْبَلْتُ إلى رَحْلِي، فَلَمَسْتُ صَدْرِي فإِذَا عِقْدٌ لِي مِنْ جَزْعِ ظَفَارِ قَدِ انْقَطَعَ، فَرَجَعْتُ فَالْتَمَسْتُ عِقْدِي فَحَبَسَني ابْتِغَاؤُهُ، قَالَتْ: وَأَقْبَلَ الرَّهْطُ الَّذين كانُوا يُرَحِّلوني، فَاحْتَمَلُوا هَوْدَجِي فَرَحَلُوهُ عَلَى بَعِيرِي الذِي كُنْتُ أَرْكَبُ عَلَيْهِ، وَهُمْ يَحْسِبُونَ أَنِّي فِيهِ، وَكانَ النِّسَاءُ إِذْ ذَاكَ خِفَافاً لَمْ يُهَبَّلْنَ، وَلَمْ يَغْشَهُنَّ اللَّحْمُ، إِنَّما يَأْكُلْنَ الْعُلْقَةَ مِنْ الطَّعامِ، فَلَمْ يَسْتَنْكِرِ الْقُومُ خِفَّةَ الْهَوْدَجِ حِينَ رَفَعُوهُ وَحَمَلُوهُ، وَكُنْتُ جَارِيَةً حَدِيثَةَ السِّنِّ، فَبَعَثُوا الْجَمَلَ فَسَارُوا، وَوَجَدْتُ عِقْدِي بَعْدَ ما اسْتَمَرَّ الْجَيْشُ، فَجِئْتُ مَنَازِلَهُمْ وَلَيْسَ بِهَا مِنْهُمْ دَاعٍ ولا مُجِيبٌ، فَتَيَمَّمْتُ مَنْزِلِي الَّذِي كُنْتُ فِيهِ، وَظَنَنْتُ أَنَّهُمْ سَيَفْقِدُونِي فَيَرْجِعُونَ إِلَيَّ، فَبَيْنَا أَنَا جَالِسَةٌ في مَنْزِلِي غَلَبَتْني عَيْنِي فَنِمْتُ، وَكَانَ صَفْوانُ بنُ المُعَطَّلِ السُّلَمِيُّ ثُمَّ الذَّكْوَانِيُّ مِنْ وَرَاءِ الْجيشِ، فَأَصْبَحَ عِنْدَ مَنْزِلِي فَرَأَى سَوَادَ إِنْسَانٍ نَائِمٍ فَعَرَفَني حِينَ رَآنِي، وَكَانَ رَآنِي قَبْلَ الْحِجَابِ، فَاسْتَيْقَظْتُ بِاسْتِرْجَاعِهِ حِينَ عَرَفَني، فَخَمَّرْتُ وَجْهِي بِجِلْبَابِي، وَوَاللَّهِ ما تَكَلَّمْنَا بِكَلِمَةٍ، ولا سَمِعْتُ مِنْهُ كَلِمَةً غَيرَ اسْتِرْجَاعِهِ، وَهَوىَ حَتَّى أَنَاخَ رَاحِلَتَهُ، فَوَطِئَ عَلَى يَدِهَا، فَقُمْتُ إِلَيْهَا فَرَكِبْتُهَا، فَانْطَلَقَ يَقُودُ بِي الرَّاحِلَةَ حَتَّى أَتَيْنَا الْجَيْشَ مُوغِرِينَ في نَحْرِ الظَّهِيرَةِ وَهُمْ نُزُولٌ، قالَتْ: فَهَلَكَ فيَّ مَنْ هَلَكَ، وَكَانَ الَّذِي تَوَلَّى كِبْرَ الإِفْكِ عَبْدُ اللَّهِ بنْ أُبَيّ ابْنُ سَلُولَ. قَالَ عُرْوَةُ: أُخْبرتُ أَنَّهُ كانَ يُشَاعُ وَيَتَحَدَّثُ بِهِ عِنْدَهُ، فَيُقِرُّهُ وَيَسْتَمِعهُ وَيَسْتَوْشِيهِ. وَقَالَ عُرْوَةُ أَيْضاً: لَمْ يُسَمَّ مِنْ أَهْلِ الإِفْكِ أَيْضاً إلا حَسَّانُ بنْ ثَابِتٍ، وَمِسْطَحُ بنْ أُثَاثَةَ، وَحَمْنَةُ بِنْتُ

جَحْشٍ، في نَاسٍ آخَرِينَ لا عِلْمَ لِي بِهِمْ، غَيرَ أَنَّهُمْ عُصْبَةٌ، كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعالى، وَإِنَّ كُبْرَ ذلك يُقَالُ لَهُ: عَبْدُ اللَّهِ بنْ أُبَيّ ابْنُ سَلُولَ.

قَالَ عُرْوَةُ: كَانَتْ عَائِشَةُ تكره أن يسب عندها حسان، وتقول: إنه الذي قال:

**فإن أبي ووالده وعرضي لعرض محمد منكم وقاء**

قَالَتْ عائِشَةُ: فَقَدِمْنَا المَدِينَةَ، فَاشْتَكَيْتُ حِينَ قَدِمْتُ شَهْراً، وَالنَّاسُ يُفِيضُونَ في قَوْلِ أَصْحَابِ الإفْكِ، لَا أَشْعُرُ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ، وَهْوَ يُرِيبُنِي في وَجَعِي أَنِّي لا أَعْرِفُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ اللُّطْفَ الَّذِي كُنْتُ أَرَى مِنْهُ حِينَ أَشْتَكِي، إِنَّمَا يَدْخُلُ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَيُسَلِّمُ، ثُمَّ يَقُولُ: (كَيْفَ تِيكُمْ). ثُمَّ يُنْصَرِفُ، فَذلِكَ يَرِيبُنِي وَلَا أَشْعُرُ بِالشَّرِّ، حَتَّى خَرَجْتُ حِينَ نَقَهْتُ، فَخَرَجْتُ مَعَ أُمِّ مِسْطَحٍ قِبَلَ المَنَاصِعِ، وَكان مُتَبَرَّزَنَا، وَكُنَّا لا نَخْرُجُ إِلَّا لَيْلًا إِلَى لَيْلٍ، وَذلِك قَبْلَ أَنْ نَتَّخِذَ الكُنُفَ قَرِيباً مِنْ بُيُوتِنَا، قَالتْ: وَأَمْرُنَا أَمْرُ الْعَرَبِ الأُوَلِ في الْبَرِيَّةِ قِبَلَ الْغَائِطِ، وَكُنَّا نَتَأَذَّى بِالْكُنُفِ أَنْ نَتَّخِذَهَا عِنْدَ بَيوتِنَا، قالَتْ: فَانْطَلَقْتُ أَنَا وَأَمُّ مِسْطَحٍ، وَهْيَ ابْنَةُ أَبِي رُهْم بْنِ المُطَّلِبِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ، وَأُمُّهَا بِنْتُ صَخْرِ بْنِ عَامِرٍ خَالَةُ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ، وَابْنُهَا مِسْطَحُ بْنُ أُثَاثَةَ بْنِ عَبَّادِ بْنِ المُطَّلِبِ، فَأَقْبَلْتُ أَنَا وَأُمُّ مِسْطَحٍ قِبَلَ بَيْتِي حِينَ فَرَغْنَا مَنْ شَأْنِنَا، فَعَثَرَتْ أُمُّ مِسْطَحٍ في مِرْطِهَا فَقَالتْ: تَعِسَ مِسْطَحٌ، فَقُلْتُ لَهَا: بِئْسَ ما قُلْتِ، أَتَسُبِّينَ رَجُلًا شَهِدَ بَدْرًا؟ فَقَالتْ: أيْ هَنْتَاهْ وَلَمْ تَسْمَعِي مَا قَالَ؟ قَالَتْ: وَقُلْتُ: وَمَا قَالَ؟ فَأَخْبَرَتْنِي بِقَوْلِ أَهْلِ الإِفْكِ، قَالَتْ: فَازْدَدْتُ مَرَضًا عَلَى مَرَضِي، فَلَمَّا رَجَعْتُ إِلَى بَيْتِي دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَسَلَّمَ، ثُمَّ قالَ: (كَيْفَ

تِيكُمْ). فَقُلْتُ لَهُ: أَتَأْذَنُ لِي أَنْ آتِيَ أَبَوَيَّ؟ قَالَتْ: وَأُرِيدُ أَنْ أَسْتَيْقِنَ الْخَبَرَ مِنْ قِبَلِهِمَا، قَالَتْ: فَأَذِنَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَقُلْتُ لأُمِّي: يَا أُمَّتَاهُ، مَاذَا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ؟ قَالَتْ: يَا بُنَيَّةُ، هَوِّنِي عَلَيْكِ، فَوَاللَّهِ لَقَلَّمَا كَانَتِ امْرَأَةٌ قَطُّ وَضِيئَةً عِنْدَ رَجُلٍ يُحِبُّهَا، لَهَا ضَرَائِرُ، إِلَّا كَثَّرن عَلَيْهَا. قالَتْ: فَقُلْتُ: سُبْحَانَ اللَّهِ، أَوَ لَقَدْ تَحَدَّثَ النَّاسُ بِهذَا؟ قَالَتْ: فَبَكَيْتُ تِلْكَ اللَّيْلَةَ حَتَّى أَصْبَحْتُ لَا يَرْقَأُ لِي دَمْعٌ وَلا أَكْتَحِلُ بِنَوْمٍ، ثمَّ أَصْبَحْتُ أَبْكِي، قَالَتْ: وَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ وَأُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ، حِينَ اسْتَلْبَثَ الْوَحْيُ، يَسْأَلُهُمَا وَيَسْتَشِيرُهُما في فِرَاقِ أَهْلِهِ، قالَتْ: فَأَمَّا أُسَامَةُ فَأَشَارَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بالذِي يَعْلَمُ مِنْ بَرَاءَةِ أَهْلِهِ، وَبِالَّذِي يَعْلَمُ لَهُمْ في نَفْسِهِ، فَقَالَ أُسَامَةُ: أَهْلُكَ، وَلَا نَعْلَمُ إِلَّا خَيْراً. وَأَمَّا عَلِيٌّ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَمْ يُضَيِّقِ اللَّهُ عَلَيْكَ، وَالنِّسَاءُ سِوَاهَا كَثِيرٌ، وَسَلِ الجَارِيَةَ تَصْدُقْكَ. قَالَتْ: فَدَعا رَسُولُ اللَّهُ ﷺ بَرِيرَةَ، فَقَالَ: «أَيْ بَرِيرَةُ، هَلْ رَأَيتِ مِنْ شَيْءٍ يَرِيبُكِ». قَالتْ لَهُ بَرِيرَةُ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ، مَا رَأَيْتُ عَلَيْهَا أَمْراً قَطُّ أَغْمِصُهُ غير أَنَّهَا جَارِيَةٌ حَدِيثَةُ السِّنِّ، تَنَامُ عَنْ عَجِينِ أَهْلِهَا، فَتَأْتِي الدَّاجِنُ فَتَأْكُلُهُ، قالَتْ: فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ يَوْمِهِ فَاسْتَعْذَرَ مِنْ عَبْدِاللَّهِ بِنْ أُبَيٍّ، وَهُوَ عَلَى المِنْبَرِ، فَقَالَ: «يَا مَعْشَرَ المُسْلِمِينَ، مَنْ يَعْذِرُنِي مِنْ رَجُلٍ قَدْ بَلَغَنِي عَنْهُ أَذَاهُ في أَهْلِي، وَاللَّهِ ما عَلِمْتُ عَلَى أَهْلِي إِلَّا خَيْراً، وَلَقَدْ ذَكَرُوا رَجُلًا مَا عَلِمْتُ عَلَيْهِ إِلَّا خَيْراً، وَما يَدْخُلُ عَلَى أَهْلِي إِلَّا مَعِي». قَالَتْ: فَقَامَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ أَخُو بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ فَقَالَ: أَنَا يَارَسُولَ اللَّهِ أَعْذرُكَ، فَإِنْ كانَ مِنَ الْأَوْسِ ضَرَبْتُ عُنُقَهُ، وَإِنْ كَانَ مِنْ إِخْوَانِنَا مِنَ الخَزْرَجِ، أَمَرْتَنَا فَفَعَلْنَا أَمْرَكَ. قالَتْ: فَقَامَ رَجُلٌ مِنَ الخَزْرَجَ، وكَانَتْ أُمُّ حَسَّانَ بِنْتَ عَمِّهَ مِنْ فَخِذِهِ، وَهُوَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ، وَهُوَ سَيِّدُ الخَزْرَجِ، قَالَتْ: وَكَانَ قَبْلَ ذَلِكَ رَجُلًا صَالِحاً، وَلَكِنِ

احْتَمَلَتْهُ الحَمِيَّةُ، فَقَالَ لِسَعْدٍ: كَذَبْتَ لَعَمْرُ اللَّهِ لَا تَقْتُلُهُ، وَلَا تَقْدِرُ عَلَى قَتْلِهِ، وَلَوْ كانَ مِنْ رَهْطِكَ ما أَحْبَبْتَ أَنْ يُقْتَلَ. فَقَامَ أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ، وَهْوَ ابْنُ عَمِّ سَعْدٍ، فَقَالَ لِسَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ: كَذَبْتَ لَعَمْرُ اللَّهِ لَنَقْتُلَنَّهُ، فَإِنَّكَ مُنَافِقٌ تُجَادِلُ عَنِ المُنَافِقِينَ. قَالَتْ: فَثَارَ الحَيَّانِ الأَوْسُ وَالخَزْرَجُ، حَتَّى هَمُّوا أَنْ يَقْتَتِلُوا، وَرَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم قائِمٌ عَلَى المِنْبَرِ، قالَتْ: فَلَمْ يَزَلْ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم يخفضهم، حتى سَكَتُوا وَسَكَتَ، قَالتْ: فَبَكَيْتُ يَوْمِي ذَلِكَ كُلَّهُ لا يَرْقَأُ لِي دَمْعٌ وَلا أَكْتَحِلُ بِنُوْمٍ، قالتْ: وأَصْبَحَ أَبَواي عِنْدِي، وَقَدْ بَكَيْتُ لَيْلَتَينِ وَيوْماً، لا يَرْقَأُ لِي دَمْعٌ وَلا أَكْتَحِلُ بِنَوْمٍ، حَتَّى إِنِّي لأَظُنُّ أَنَّ البُكَاءَ فَالِقٌ كَبِدِي، فَبَيْنَا أَبَوايَ جَالِسَانِ عِنْدِي وَأَنَا أَبْكِي، فَاسْتَأْذَنَتْ عَلَيَّ امْرَأَةٌ مِنْ الأَنْصَارِ فَأَذِنْتُ لَهَا، فَجَلَسَتْ تَبْكِي مَعِي، قَالَتْ: فَبَيْنَا نَحْنُ عَلَى ذَلِكَ دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم عَلَيْنَا فَسَلَّمَ ثُمَّ جَلَسَ، قَالَتْ: وَلَمْ يَجْلِسْ عِنْدِي مُنْذ قِيلَ ما قِيلَ قَبْلَهَا، وَقَدْ لَبِثَ شَهْراً لا يُوحى إِلَيْهِ في شَأْنِي بِشَيْءٍ، قَالتْ: فَتَشَهَّدَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم حِينَ جَلَسَ، ثُمَّ قالَ: «أَمَّا بَعْدَ، يا عَائِشَةُ، إِنَّهُ بَلَغَني عَنْكِ كَذَا وَكَذا، فَإِنْ كُنْتِ بَرِيئَةً، فَسَيُبَرِئُكِ اللَّهُ، وَإِنْ كُنْتِ أَلْمَمْتِ بِذَنْبٍ، فَاسْتَغْفِرِي اللَّهَ وَتُوبِي إِلَيْه، فَإِنَّ الْعَبْدَ إِذَا اعْتَرَفَ ثُمَّ تَابَ، تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ». قَالَتْ: فَلَمَّا قَضَى رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم مَقَالَتَهُ قَلَص دَمْعِي حَتَّى مَا أُحِسُّ مِنْهُ قَطْرَةً، فَقُلْتُ لأَبِي: أَجِبْ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم عَنِّي فِيمَا قَالَ، فَقَالَ أَبِي: وَاللَّهِ مَا أَدْرِي مَا أَقُولُ لِرَسولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم، فَقُلْتُ لأُمِّي: أَجِيبي رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم فِيما قَالَ، قَالَتْ أُمِّي: واللَّهِ مَا أَدْرِي ما أَقُولُ لِرَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم، فَقُلْتُ، وَأَنَا جَارِيَةٌ حَدِيثَةُ السِّنِّ لا أَقْرأُ مِنْ الْقُرْآنِ كَثِيراً: إِنِّي وَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُ: لَقَدْ سَمِعْتُمْ هذَا الْحَدِيثَ حَتَّى اسْتَقَرَّ في أَنْفُسِكُمْ وَصَدَّقْتُمْ بِهِ، فَلَئِنْ قُلْتُ لَكُمْ: إِنِّي بَرِيئَةٌ، لا تُصَدِّقُونِي، وَلِئِن

اعْتَرَفْتُ لَكُمْ بِأَمْرٍ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَنِّي مِنْهُ بَرِيئَة، لتُصَدِّقُنِّي، فَوَاللَّهِ لا أَجِدُ لِي وَلَكُمْ مَثَلًا إلا أَبَا يُوسُف حِينَ قَال: ﴿فَصَبْرٌ جميلٌ واللَّهُ المُسْتعَانُ على مَا تَصِفُونَ﴾ ثُمَّ تَحَوَّلْتُ واضْطَجَعْتُ عَلَى فِرَاشِي، واللَّهُ يَعْلَمُ أَنِّي حِينَئذ بَرِيئَةٌ، وَأَنَّ اللَّهَ مُبَرِّئِي بِبراءَتِي، ولَكِنْ وَاللَّهِ مَا كُنْتُ أَظُنُّ أَنَّ اللَّهَ مُنْزِلٌ في شَأْنِي وَحْياً يُتْلَى، لَشَأْنِي في نَفْسِي كَانَ أَحْقَرَ مِنْ أَنْ يَتكَلَّمَ اللَّهُ فيَّ بِأَمْرٍ، وَلَكِن كُنْتُ أَرْجُو أَنْ يَرَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ في النَّوْمِ رُؤْيَا يُبرئُنِي اللَّهُ بِهَا، فَوَاللَّهِ مَا رَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَجْلِسَهُ، ولا خَرَجَ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ البَيْتِ، حَتَّى أُنْزِلَ عَلَيْهِ، فَأَخَذَهُ مَا كَانَ يَأْخُذُهُ مِنْ الْبرَحَاءِ، حَتَّى إِنَّهُ لَيَتَحَدَّرُ مِنْهُ مِنْ الْعَرَقِ مِثْلُ الْجُمَانِ، وَهْوَ في يَوْم شَاتٍ، مِنْ ثِقَلِ الْقَوْلِ الَّذي أُنْزِلَ عَلَيْهِ، قَالَتْ: فَسُرِيَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهْوَ يَضْحَك، فَكَانَتْ أَوَّلَ كَلِمَةٍ تَكَلَّمَ بِهَا أَنْ قالَ: «يَا عَائِشَةُ، أَمَّا اللَّهُ فَقَدْ بَرَّأَكِ». قَالتْ: فَقَالَتْ لِي أُمِّي: قُومِي إِلَيْهِ، فَقُلْتُ: واللَّهِ لا أَقُومُ إِلَيْهِ، فَإِنِّي لا أَحْمَدُ إِلا اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ، قَالتْ: وَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعالى: ﴿إِنَّ الَّذينَ جَاؤُوا بِالإفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ﴾. الْعَشْرَ الآيَاتِ، ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ هذَا في بَرَاءَتِي، قَالَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ، وَكَانَ يُنْفِقُ عَلَى مِسْطَح بِن أُثَاثَةَ لِقَرَابَتِهِ مِنْهُ وَفَقْرِهِ: وَاللَّهِ لا أُنْفِقُ عَلَى مِسْطَح شَيْئاً أَبداً، بَعْدَ الَّذِي قالَ لِعَائِشَةَ ما قالَ. فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿وَلا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُم﴾ إلى قَوْلِهِ: ﴿غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾. قَالَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ: بَلَى واللَّهِ إنِّي لأُحِبُّ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لِي، فَرَجَعَ إلى مِسْطَحٍ النَّفَقَةَ الَّتي كَانَ يُنْفِقُ عَلَيْهِ، وَقَالَ: وَاللَّهِ لا أَنْزِعُهَا مِنْهُ أَبداً، قَالَتْ عَائِشَةُ: وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ سَأَلَ زَيْنَبَ بِنْت جَحْشٍ عَنْ أَمْرِي، فَقَالَ لِزَيْنَبَ: «مَاذَا عَلِمْتِ، أَوْ رَأَيْتِ». فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَحْمِي سَمْعِي وَبَصَرِي، وَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ إِلَّا خَيراً، قَالَتْ عَائِشَةُ: وَهْيَ الَّتي كَانَتْ تُسَامِينِي مِنْ أَزْوَاجِ النَّبيِّ ﷺ فَعَصِمَهَا اللَّهُ

بِالْوَرَعِ. قَالَتْ: وَطَفِقَتْ أُخْتُهَا حَمْنَةُ تُحَارِبُ لهَا، فَهَلَكَتْ فِيمَنْ هَلَكَ.

قَالَ ابْنُ شِهَابٍ: فَهَذا الذي بَلَغَني مِنْ حَدِيثِ هَؤلاءِ الرَّهْطِ.

ثُمَّ قَالَ عُرْوَةُ: قَالَتْ عَائِشَةُ: وَاللَّهِ إنَّ الرَّجُلَ الذي قِيلَ لَهُ مَا قِيلَ لَيَقُولُ: سُبْحَانَ اللَّهِ، فَوَالذي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا كَشَفْتُ مِنْ كَنَفِ أُنْثى قَطُّ، قَالَتْ: ثُمَّ قُتِلَ بَعْدَ ذَلِكَ في سَبِيلِ اللَّهِ[١].

### نظم حديث الإفك:

نظم الشيخ محمد بن محمد اليعقوبي حديث الإفك كاملًا يقول:

حَمْداً لمن بالصدق في القول أمرْ ... كلَّ العباد وعن الإفك زجرْ

صلِ وسلم على خير البشرْ ... والآل والصحب الأجلةِ الغُررْ

وبعدُ ذي منظومةٌ مختصة ... بقصة الإفك تفي بالقصة

مِن كُتُبِ الصَّحيح نَسْتَوفيها ... خوفاً مِنْ أن يَقَعَ إفكٌ فيها

مثلِ الذي وردَ في البخاري ... ومُسْلمٍ فيها مِن الأخبارِ

والإفكُ في سَنَةِ ستٍّ وقعَا ... لمَّا غزا خيرُ الورَى المُرَيْسِعَا

وكان مِنْ دأبِ شفيع الشُّفَعَا ... إذا أرادَ سَفَراً أن يُقْرِعَا

بين نِسائِه فمَنْ مِنْ نِسْوَتِه ... خَرج سَهْمُهَا مَضَتْ في صُحْبَتِهِ

فَأَقْرَعَ النَّبيُّ لدى إرادته ... لهذه بين النِّسَا كعادَتِهِ

فَخَرَجَ السَّهْمُ هُنا لِعَائِشَة ... ولم تكن ذاتِ سِهَام طَائِشَة

(١) صحيح البخاري حديث رقم (٤١٤١).

وكـانَ ذا فـيـما روى الأنـجابُ    مِنْ بَعْد مَا قَدْ نَزَلَ الحِجابُ

وكـانـتْ أمُّ الـمؤمـنـيـن تُـحْـمَـلُ    فـي هَـوْدَجٍ لـهـا وفـيـه تـنْـزِلُ

فَـنَـزَلَ الـنَّـبـيُّ بـذاكَ الْجَـيْـشِ    أثـنـا قُـفُـولِهـمْ بِـذات الْجَـيْـش

وبـاتَ بـالـمـنـزل بـعـضَ الـليْـل    وبـــعــد ذا أُذِّنَ بـــالــرَّحِـــيــل

فَـخَـرَجَـتْ لِحَـاجَـةٍ وَرَجـعـتْ    والناسُ في الرحيلِ كانت شَرَعَتْ

وفـقـدتْ عِـقـداً لـهـا وذَهَـبَـتْ    تَـطْـلُبُـهُ هُـنـاك فـيـمـا قَـدْ نَـبَـتْ

ولـمْ يَـكُـونـوا عَـلِمُـوا خُـروجَـهَـا    فَاحْـتَـملُوا مِنْ بَعْدِها هَـوْدَجَـهَا

وحَسَبُوهَا فيه، إذ ذَاك الزَّمَنْ    نـسـاؤُه لـم يـتَّـسِـمْـنَ بـالـسِّـمَـنْ

وأخـذوا مِـن ذا خـروجِ الأهـلِ    لــحــاجــةٍ بــدونِ إِذْنِ الْبَــعْــل

فَـرَجَـعَـتْ إلى مَـكَـانِ الـعَـسْـكَـر    إذْ وُجِـدَتْ ومـا بـه مِـنْ بَـشَـرْ

فَـقَـصَـدتْ مَـكَـانـهـا إذْ رَجَـعـتْ    وَضَـرَبَـتْ جِلْبَابـهـا واضْـطَـجَـعَـتْ

تَـظُـنُّ أنَّ الْقَـوْم يَـفْـقِـدُونَـهـا    وسَـوفَ يَـرْجِـعُـونَ يَـطْـلِبُـونَـهَـا

فَـغَـلَـبَـتْـهـا عَـيـنُـهـا فـنَـامَـتْ    فَـمَـرَّ صَـفْـوانُ بَـنـي سَـلـمـة

نَجْلُ المعطَّل الحنيفُ السالك    سُـبُـلَ الـهـدى بـأمِّـنـا هـنـالـكْ

كـانَ لِبـعـض شَـأْنِـه تَـخَـلَّفَـا    ولـمْ يَـبـتْ معَ الـهُـداة الـحُـنـفـا

عـرفَـهـا ولـيـس ذاك بـعُـجَـابْ    لأنَّـه أبـصـرَهـا قَـبْـلَ الـحِـجَـابْ

ما سمعتْ منه سُوى اسْترجاعِهِ    فاستيقظتْ في الحين مِنْ سماعِهِ

فــركــبــتْ بــعــيــرَهُ إذْ قــرَّبــهْ    مـنـهـا وقـد أمـسـكَـهُ لِتَـرْكَـبَـهْ

فـقـادَ مـسـرِعَـاً بـهـا لِيَـلْحـقـا	بالجيشِ لكنْ جَيْشُ طه سَبَقَا

وبَعْدَ ما بَطِيْبَةٍ الجيشُ نَزلْ	طلعَ وهـو قـائِدٌ بـهـا الـجَـمَـلْ

ثم أشاعَ أهلُ الإفك الفاحِشَةْ	وذاك لا عِـلْم بـه لـعـائِشَـةْ

فَمرضَتْ بَعْدَ القُدومِ بقليلِ	وبلغَ الحديثُ صَفْوَةَ الجَلِيلِ

ووَالـديْ عـائـشـةَ ومـا دَرَتْ	بـذالـك إلا أنَّـهـا قَـدْ أَنْـكَـرَتْ

مِنْ أَفْضَل الأنام بعضَ لُطْفِهِ	والبَـعْـضَ مِـنْ حَـنـانِـهِ وعـطْـفِـهِ

كـان إذا مـا جـاءهـا يُـسَـلِّمُ	ولا يـقـول غَـيـرَ كَـيـفَ تـيـكُـمُ

فَنقَهتْ مِنْ بعد قربِ شَهْرِ	ولـمْ تَـكُـنْ قَـدْ عَـلِـمَـتْ بـالأمْـرِ

وخَرَجَتْ لِفسْحَةٍ مِنْ فُسَحِ	طـيـبَـةً لـيـلًا مـع أمِّ مِـسْـطَـحِ

وهي المنَاصِعُ ولم تَكُ الكُنَفْ	مـألـوفـةً عـنـدهـمُ فـيـمـا أُلِفْ

وأمُّ مِسْطَحٍ إذا رُمْتَ النَّسَبْ	بنتُ أبي رُهْم سَليل المُطَّلِبْ

وهيَ خَالةُ أبي بكر السَّرِيْ	والأمُّ بـنـتُ صـخـرِ بـنْ عـامـرِ

ومِسْطَحٌ إلى أثاثَةَ انتسبْ	وذا إلـى عـبَـاد بـن الـمُـطَّـلِـبْ

ومِـسْـطَـح لـقـبُـه والـخُـلفُ	جا في اسمه هل عَامر أو عوف

واعـلَـمْ بـأنَّ أمَّـه تُـسَـمَّـى	كَـمـا حَـكَـاه الـنَّـوَويُّ سَـلْـمـى

فعثَرَتْ في مُرْطِها بِنْتُ أبيْ	رَهْـم رفـيـقَـةَ ظَـعْـيـنَـةِ الـنَّـبـيْ

في سَيْرِها ذاك فقالت تَعِسَا	مِسْطَح أي شقي والمُرط الكِسَا

قـالـت لـهـا عـائـشـة لَـبـيـسَـمـا	قلت تَـسُـبِّـيـن حـنـيـفـاً مـسـلـمـاً

شَهِدَ بدراً مع خَيْر الرُّسلِ وهوَ مِنْ المهاجرينَ الأوَّلِ
قالت لها أمَا سَمِعْتِ ما ذكَرْ وقومُه وأخبرتَهَا بالخَبَرْ
فَزَادَهَا ذا مَرَضاً واشتكتِ أشدَّ مِنْ ما قَدْ مَضَى وَبَكَتِ
واستأذنتْ خيرَ الوَرَى وَمَا أبى في أن تزورَ الأمَّ إذ ذا والأبَا
تريدُ منهما تَيَقُّنَ الخبرْ فسألت الأمَّ كما جا في الخبرْ
فلم تزدْهَا فيه إلا الأَمْرا بأنْ تُهوِّن عليها الأمْرا
وأمُّ أمِّنَا تُكَنَّى أما رومان وأعلم أنَّها تُسمَّى
زينبُ بنتُ عَبْدِ دَهمان وإنْ سألْتَ مِمَّنْ هُو قلتُ لك مِنْ
بنى فراس ابن غنم ابن ما لكِ الذي إلى كنانةَ انتَمَى
وقدْ بكتْ ليلتَها ويومَها وفقدَتْ راحتَهَا ونَومَهَا
ثم استشار في فِراقِهَا النَّبيْ الأتقى عليًّا وأسامةَ الأبيْ
أَمَّا أُسامةُ فخيراً ذَكرا عنها وقال ذاك إفكٌ مُفْتَرَى
وقالَ الآخَرُ - كما في ابن كثيرْ وغيرِه - النساءُ غَيرها كَثيرْ
وَسَلْ بريرةَ فإنَّها تقولْ لكَ الحقيقةَ فسألْها الرَّسولْ
فلم تقلْ ولن تَقولَ غيرا واللَّه لا أعلمُ إلا خَيْرا
أو أنَّها تنامُ عمَّا أعجِنُ لهم فتأكُل العجينَ الداجنُ
فَخَطبَ النَّاس إمامُ الرُّسلْ وقالَ من يَعْذُرني مِنْ رَجْلْ
بلغَنِي منْهُ الأذى في أهْلي وهُمْ بخيْرٍ عُرِفوا وفَضْلِ

وهو بما يقولُ أيضاً قَذَفَا ... صفوانَ وهو بالجميلِ عُرِفَا
ولم يكن يدخلْ بَيتي إلا ... إن كنْتُ حاضراً وإلا ولَّى
وابن أُبَيِّ قاصداً إذ أمْرَه ... كان هو الذي تولَّى كِبْرَه
فقال سعدُ بن معاذٍ نَضْرِبُ ... عُنَقَهَ إذا للأوس يُنْسبُ
وإن يكن مِنْ خَزْرجٍ فَمُرْنا ... فَمَا به أمرتَنا فعلنَا
فاحتملتْ حَمِيَّةً بعضُ الرجالْ ... وهو سَعْدُ بن عُبَادَةَ فقالْ
لابن معاذٍ لم تقلْ ما قلتَا ... آنِفاً إلا بعدمَا عَلِمْتَا
أنَّ المراد من رجالِ الَخزْرَجْ ... ومَا تقولُ هو عِينُ البَهْرَج
وقال لو كان مِن الأوسِ لَمَا ... كنت تحبُّ قتْلَه وأقسمَا
وعنْد ذا قالَ أُسَيْدُ بن حُضَيرْ ... وهو ابنُ عمِّ ابن معاذٍ الأميرْ
لابن عبادة كذبت عن يقين ... أنت تجادل عن المنافقين
وكادَ أن يقعَ شرُّ بأسِ ... هناك بين خزرجٍ وأوسٍ
فنزل النَّبيُّ عن مِنْبرِهِ ... مِنْ بَعْدِ حَسْمِ ما جرى بأسْرِهِ
وجاء عائشةَ ذو الفَخَارِ ... والوالدانِ معها في الدارِ
ودَمْعُهَا يسيلُ في انهمَار ... هي ومرأةٌ من الأنصارِ
فَحَمِدَ اللَّهَ وقَالَ يَا عا ... ئشةُ قَدْ سَمِعْتِ ما قد شاعَا
وَسَيُبَرِئكِ إنْ بَريئةْ ... مِن ذاكَ كُنْت بارئُ البريئة
أو كنت قد قارفت سوءً توبي ... للَّه فهو غافرُ الذُّنوبِ

فَقَلَصَ الدَّمْع وقالتْ لأبيْ … بكر أيا أبي أجبْ عني النَّبي
وفيه تقديمُ الكبير للكلامْ … مَعَ أُوْلي الأمْرِ في المُهِمَّات العِظَامْ
فقال لا أدري بما أُجيبُ … خَير الوَرَى والدُهَا الأديبُ
فطلبت جواب الأم للنبي … فلم تقل إلا كقولة الأب
قالت لهم واللَّهِ قَدْ سَمِعْتُمْ … هذا الحديثَ وبه صَدَّقْتُمْ
ولستمُ مُصدقِينَ قولَنا … وفي أبي يوسفَ أسوةٌ لنا
في قوله صبرٌ جميلٌ فَكَّرَتْ … لِتَذْكُرَ اسمَهُ وما تَذَكَّرَتْ
منْ شِدَّةِ الأمْر الذي قَدْ اعْتَرى … وكان عندها المقال أَحْقرا
من أنْ يجيءَ فيه وَحْيٌ يُتْلى … وفي المساجِدِ به يُصَلَّى
لكنَّها كانتْ تودُّ أن يُرَى … تكذيبهُ في النَّومِ أفضلُ الوَرَى
فلم يقُم طَهَ مِنَ المكان … حتى أتَتْ براءةُ القرآنِ
في عشرِ آياتٍ لها ابتداءُ … بقوله: (إنَّ الذين جاءوا...)
فقال أبشري فَمِن ذي الفاحِشَهْ … برَّأكِ اللَّه - علا - يا عائشة
قالت بحمدِ اللَّهِ لا بحمدكَا … هو الذي برَّأني من ذلكا
فخطب الناس النَّبيُّ وتلا … ما في البراءَةِ عليه نزلا
وكان مما كان فيه يسبحُ … حسانُ نَجْلُ ثابتٍ ومِسْطحُ
وبنْتُ جَحْشٍ حَمْنَةُ تفشيهِ … لأجل أختِها وتستوشِيهِ
هذا وقدْ كانَ النَّبيُّ المُجتَبَى … يسْأل عن ذلك أيضاً زينَبَا

تقولُ أحمي منهُ سَمْعِي والبصَرْ ... وعِنْدَمَا بلغَ صَفْوانَ الخبرْ
حلفَ ما كشفَ قَطُّ عن كَنَفْ ... أنثى وَقَد كَفَاكَ أَنَّه حَلفْ
وقَدْ كفاكِ أَنَّه سعيدا ... مماتُه مِنْ بَعْدِ ذا شهيدا
ثم أقِيمَ الحَدُّ في ابن ثابتِ ... ومسْطَحٍ وحمْنَةَ في الثابتِ
وكان قبل ذا أبو بكر الأبرْ ... يُنْفِق مسطحاً كما جا في الخبرْ
لقُرْبِه وفَقْره فقال لا ... أَنْفَعُه مِنْ بَعْدِهَا فَنَزَلا
إلى رحيم قوله لا يأتلِ ... قالَ: بلى أحبُّ أن يُغْفَرَ لِي
فردَّ الإنفاق لهُ وقالَ لا ... أَنْزِعُهُ مِنْ بَعْدِ ذاكَ وائْتَلى
وهذه الآية أَرْجَى آية ... في قولِ بعضٍ مِنْ أولي الدرايهْ
نرْجُو مِنْ اللَّهِ بها الغُفْرانا ... والْفَضْلَ والرَّحمةَ والإحسانا
وتَمَّ ما كنتُ أردتُ نظمَهُ ... والحَمْدُ للَّهِ الذي أتَّمهُ
صلَّى على خاتم الأنبياء ... وآله والصّحب الأتقِيَاء[1]

### حديث الإفك عند رواد الأدب والفكر:

بحق إنه لمن روائع القصص ومن عيون الأدب ظهرت فيه متانة اللغة وجزالة اللفظ وجمال الأسلوب ولطف الإشارة وإشراقة التعبير وعمق التجربة النفسية لا غرو أن يكون لهذه التجربة المؤلمة لأم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ظلالها على الأدب والأدباء خصوصاً أنها قد عبرت عنها بأنفس تعبير وأبهاه.

---

(١) حديث الإفك (٩٩).

قال الشيخ الأديب علي الطنطاوي رَحِمَهُ اللَّهُ عن حديث الإفك:

هذا الحديث الذي حدثت به أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا منطلقة على سجيتها، هو في الواقع قصة أدبية كاملة، فيها كل صفات القصة، ومثله حديث كعب بن مالك لما تخلف عن تبوك، وحديث عمر لما قيل له إن رسول اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ طلق نساءه(١).

وها هو ذا الأديب الناقد سيد قطب رَحِمَهُ اللَّهُ يتفاعل مع تجربتها من خلال حديث الإفك، بما احتوى من مشاعر وصور وأحداث ومعانٍ، فيقول:

وإن الإنسان ليقف متململاً أمام هذه الصورة الفظيعة لتلك الفترة الأليمة في حياة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وأمام تلك الآلام العميقة اللاذعة لعائشة زوجه المقربة، وهي فتاة صغيرة في نحو السادسة عشرة، تلك السن المليئة بالحساسية المرهفة والرفرفة الشفيقة.

فها هي ذي عائشة الطيبة الطاهرة، ها هي ذي في براءتها ووضاءة ضميرها، ونظافة تصوراتها، ها هي ذي تُرمى في أعز ما تعتز به، ترمى في شرفها، وهي ابنة الصديق، الناشئة في العش الطاهر الرفيع، وترمى في أمانتها، وهي زوج محمد بن عبد اللَّه من ذروة بني هاشم، وترمى في وفائها، وهي الحبيبة المدللة القريبة من ذلك القلب الكبير.. ثم ترمى في إيمانها، وهي المسلمة الناشئة في حجر الإسلام، من أول يوم تفتحت عيناها فيه على الحياة، وهي زوج رسول اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

ها هي ذي ترمى ، وهي بريئة غارة غافلة ، لا تحتاط لشيء ، ولا تتوقع

(١) أبو بكر الصديق / الطنطاوي ص(١٢٨)

شيئاً; فلا تجد ما يبرئها إلا أن ترجو في جناب اللَّه ، وتترقب أن يرى رسول اللَّه رؤيا تبرئها مما رميت به، ولكن الوحي يتلبث ، لحكمة يريدها اللَّه ، شهرًا كاملًا، وهي في مثل هذا العذاب[١] .

وقد تعرض الأديب عباس محمود العقاد لمذاهب المستشرقين في حديث الإفك قائلًا:

فمن هؤلاء من غلب عليه أدب التربية فاستبعد حديث الإفك كما فعل (موير) حيث قال بعد الإشارة إليه: إن عائشة قبل الحادث وبعده لتوجب علينا أن نعتقد براءتها من التهمة.

ومنهم من نقل الحكاية وخلطها بالمعجزات التي لا يصدقها غير المسلم، كما فعل «واشنطون ارفنج» في سيرة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فلم يقطع بنفي صريح، وترك الباب مفتوحاً للأقاويل.

ومنهم من جاوز الحقيقة في وصف ما جاءت به الروايات، فزعم أن السيدة عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ابتعدت عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يوماً كاملًا قضته في صحبة صفوان خلافاً لما جاء في كل قصة نقلت إلينا عن حديث الإفك، ونعني به «روديل»، وهؤلاء مع هذا هم أشد المستشرقين تقية وحذراً في تعرضهم لهذا الحديث[٢] .

ثم أخذ رَحِمَهُ اللَّهُ يفنّد بأسلوبه الأدبي المشرق وبطريقته الجدلية المقنعة خطل اتهام أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قائلًا:

---

(١) في ظلال القرآن (٤/ ٢٤٩٨).

(٢) الصديقة بنت الصديق.

تلك شبهة لا تكفي للشك في امرأة من عامة المسلمين الخارجين للجهاد في حضرة نبي الإسلام ﷺ، إذ لو كانت كل امرأة تتأخر في الطريق تؤخذ بالتهمة في دينها وعرضها لكانت التهم في الأعراض أهون شيء يخطر على بال، بل لو تأخرت كل امرأة في الركب غير السيدة عائشة رضي الله عنها لجاز أن تلحق بها شبهة من هذا التأخير، لأن الركب لم تكن فيه امرأة غيرها، يهابها الموكلون بهودجها أن ينادوها ليتأكدوا من وجودها، ولم تكن فيه امرأة أخرى تهاب الرقبة من جيش المسلمين كما تهابها، وهي زوج النبي ﷺ وبنت الصديق رضي الله عنه، وقد كان أبوها يحمل راية المهاجرين في تلك الغزوة بعينها.

وعلى الذي يقبل وشاية كتلك الوشاية الواهية أن يروض عقله على تصديق أمور كثيرة لا موجب لتصديقها، لأنها تفتقر إلى كل دليل والأدلة على ما ينقضها كثير.

عليه أن يصدِّق أن صفوان بن المعطل كان رجلًا لا يؤمن بالنبي ﷺ ولا بأحكام الإسلام.

وأن يصدِّق أن السيدة عائشة رضي الله عنها كانت. وهي زوج النبي ﷺ. لا تؤمن به ولا تعمل بدينه.

ولا دليل على هذا ولا ذاك.

بل الأدلة على إيمان صفوان وإيمان عائشة رضي الله عنها تجرى في كل سياق وردت لهما سيرة فيه[1].

وممن أفاض وأجاد في الحديث عن حادثة الإفك الشاعر د/ عبدالرحمن العشماوي خصوصاً وأنه قد أفرد عنها كتاباً أسماه (صاحبة الحرير الأخضر)،

(١) الصديقة بنت الصديق.

وقد وقف وقفة مفصلة مع حديث الإفك اشتملت على تحليل وشرح ونقد أدبي، قال د. العشماوي في تعليقه على حديث الإفك:

إن لغتنا العربية الفصحى لتتألق على لسان أمنا عائشة حتى رأيناها مشاعل مضيئة من البلاغة والبيان، وكان زيتها مستمداً من دموع أم المؤمنين التي لم ترقأ، حتى خمد صوت النفاق الأجش الذي انطلق بحشرجته مضخماً تلك الفرية الكاذبة.

ثم يقول بعد أن يعرض لمعاناة أمنا عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا من أذى المنافقين وأكاذيب المفسدين ومن صدقهم من ضعاف المؤمنين.

ولذلك فما إن بدأت أمنا الطاهرة بسرد قصتها حتى توافدت عليها العبارات والجمل، وتسابقت إليها الكلمات والصور متدفقة المعاني مشرقة الأسلوب بليغة الصورة عميقة الأثر.

هنا جو نفسي للإبداع لا نظير له، وهج معاناة، وغليان أسى، وحرقة ألم، ممزوجة بفرح غامر وسرور عميق بما مَنَّ اللَّه به عليها من البراءة والتزكية من فوق سبع سماوات.

**إنه النص العائشي المتميز الذي:**

يحمل من القصيدة وهجها وتدفقها.

ومن القصة آثارها وتسلسل أحداثها وتألق أشخاصها.

ومن الخطبة بلاغتها وقوة عباراتها.

ومن السيرة الذاتية سلامة عرضها وصدق تجربتها.

إن حديث الإفك نص أدبي متميز يجمع لنا خصائص أسلوب عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا الفنية.

ثم تابع قوله عن حديث الإفك في فقرة أخرى:

حديث الإفك نص أدبي جليل القدر، رفيع المكانة في مراتب البلاغة والبيان، فهو جميل العبارة، مشرق البيان، بديع التصوير، متماسك الأجزاء، متكامل الجوانب، حديث أدبي يعجب ويمتع ويرضي كل متذوق للأدب الراقي.

إنه قصة متكاملة تتوافر فيها جميع عناصر القصة من أحداث مثيرة وشخصيات متعددة وحوار وحبكة قصصية، وعقدة ظلت تشد الانتباه شداً قوياً حتى كان الحل بلسماً شافياً للصدر.

ثم أورد الدكتور عبدالرحمن العشماوي معالم الإبداع والجمال في قصة الإفك والتي منها:

١- الصدق في الرواية والوضوح في طرح جوانب القضية المثارة.

٢- دقة الوصف وتسلسل الأحداث وجمال السرد.

٣- تحقيق عنصر الإثارة وشدِّ الانتباه.

٤- الربط القوي بين أجزاء الحدث وعناصره ومواقفه ربطاً لا يتيح للمتلقي أن ينشغل عنه.

٥- نصاعة العبارة، وجمال الصور البلاغية، والتي منها:

( أَذن بالرحيل . فالتمست عقدي . لم يغشهن اللحم . قلص دمعي).

٦- الدقة في رسم الأشخاص وتحديد مواقفهم والتعريف بهم، وهذا دليل على علم عائشة وسعة اطلاعها[١].

(١) صاحبة الحرير الأخضر (بتصرف) ص(١٧٢).

## حديث الإفك... تربية وتأديب:

تأمل أدب النبوة المشرق في إشارات أم المؤمنين في حديثها العظيم، وما في كناياتها المفهمة من مندوحة الأدب الراقي عن المعاريض، على الرغم من مراره التجربة وعدالة القضية تأمل في قولها: «فلما قضيت شأني» تقصد لما قضت حاجتها، وفي قولها: «فهلك فيّ من هلك» كناية عن الخوض في اتهامها في الإفك.

وكيف أنها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ذكرت حسنة حسان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وتغافلت عن سيئة خوضه في الإفك، كان ذلك في مدحه للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وقوله:

**فإن أبي ووالده وعرضي    لعرض محمد منكم وقاء**

وما في هذا البيت من إشارة إلى فدائه لعرض النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ والتي هي منه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا .

ومن آدابها التي لاح سناها وفاح شذاها من حديثها الرائع حسن ظنها بمن اتهمها واعتذارها لهم، انظر في قولها عن سعد بن معاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لما عارض قتل زعيم المنافقين عبداللَّه بن أبي بن سلول: «وكان قبل ذلك رجلًا صالحاً ولكن احتملته حميّة».

وحول موازينها التربوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قال المفكر الإسلامي محمد أحمد الراشد في كتابه القيم العوائق في فصل عنوانه: «عائشة تطبق الميزان»:

وكذلك حال حسان بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : قذف عائشة، وبقى حبه في نفس النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وأصحابه وأجيال المسلمين من بعدهم، للذي كان عليه من المنافحة بشعره عن رسول اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، حتى أن عائشة ردت على ابن أُخْتها

عروة بن الزبير بن العوام لما سبَّه وقالت:

«يا ابن أُختي: دعه، فإنه كان ينافح عن رسول اللَّه ﷺ»[١].

وقريب من ذلك شهادة أُخرى لعائشة في أمر زينب بنت جحش أُم المؤمنين رضي الله عنها، فإنه كان بينهما ما يكون بين الضرائر، وكان في زينب من الطباع ما يؤخذ عليها، ولكن ذلك لم يمنع عائشة من إنصافها والثناء على فعالها الإيمانية، فقالت:

«هي التي كانت تساميني من أزواج النبي ﷺ في المنزلة عند رسول اللَّه ﷺ، ولم أر امرأة قط خيراً في الدين من زينب وأتقى للَّه عز وجل وأشد ابتذالًا لنفسها في العمل الذي تصدق به وتقَرّب به، ما عدا سَوْرة من حِدَّةٍ كانت فيها، تسرع منها الفيئة»[٢].

أي سريعة البرود بعد احتداد غضبها.

وقد وضعتنا عائشة رضي الله عنها هنا أمام نموذجين ينتقلان بنا إلى خطابين:

نموذج زينب، ونخاطب بمناسبته هؤلاء الدعاة من إخواننا الأحبة الذين نشهد لهم بالدين وصدق الحديث وابتذال أنفسهم في أعمال دعوة الإسلام، لماذا تلازمهم حتى الآن فورات الغضب وحدّة الألفاظ ويُغلقهم العناد المتحدي أليس البحث الهادئ أولى؟ أو ليس الاقتداء بزينب في الرجوع السريع أجمل؟

ونموذج عائشة نفسها، ونخاطب بمناسبته المتزمت المبالغ في تشدّده،

(١) صحيح مسلم ح (٢٤٨٧).

(٢) صحيح مسلم ح(٢٤٤٢).

الذي يظلم إخوانه، فلا يعترف بفضل ذي فضل واسع إذا هفا، والذي يظلم الدعوة، فلا يدعها تنتفع بذي اختصاص مفيد خلط مع كفايته خصلة يعاب عليها.

إن سمت التشدد، وطلب الصفات المتكاملة، إنما يجب للقادة والمربين، وأما ما دون ذلك فإن العمل الإسلامي ينتفع من كل إمكانية خير مهما ضمرت وصغرت، ويدير في فلكه كل متعاطف مهما أثقلته العيوب التي لا تعود بضرر على مجمل الدعاة.

وأولى لنا وأصوب أن نقتدي بعائشة رضي الله عنها في إنصافها، وبتلميذها سعيد بن المسيب لما أسرع فهم طريقتها فأوجزها وصاغها بنداً في قانون الجرح والتعديل الإسلامي فقال:

«ليس من شريف ولا عالم ولا ذي فضل إلا وفيه عيب، ولكن من الناس من لا ينبغي أن تُذكر عيوبه، فمن كان فضله أكثر من نقصه: وُهِبَ نقصه لفضله».

**والزم أخاك فإنَّ كلَّ أخٍ ترى فله مساوئ مرة ومحاسن**[1]

❊ ❊ ❊

(١) العوائق ص (١٠٨).

## حديث الإفك عند الشعراء:

إن ما اخترته في هذا الكتاب من القصائد المعبرة عن حديث الإفك، هي غيض من فيض من القصائد والمقطعات؛ التي تناولت فضائل الصديقة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ، أو صبرها وسموها في حديث الإفك، غير أني ما اخترت هذه القصائد من هذا الفيض إلا لما توافر فيها من الروعة والإبداع والشاعرية، أو لأسباب أخرى ذكرتها في مظانها.

وهذا يعني أن القصائد التي ذكرت حديث الإفك، أو فضائل الصديقة رضي الله عنها كثيرة جداً، وسأشير بعجالة خاطفة لبعض من هذا الفيض الإبداعي الذي جادت به قرائح الشعراء والمبدعين من غير ما اخترت في هذا الكتاب، وكما قال العرب قديماً: يكفي من القلادة ما أحاط بالعنق.

### * جمال الدين الصرصري:

فقد تعرض لفضائل الصديقة رضي الله عنها ومناقبها عديد من الشعراء في عصور مختلفة ومن هؤلاء الشعراء الإمام الشاعر جمال الدين الصرصري، وهو إمام من أعلام الحنابلة في عصره جمع بين الفقه والشعر، له ديوان وأغلب شعره في المديح النبوي، وله منظومة كبيرة في الفقه الحنبلي، ومختارات في المديح النبوي، قتله التتار يوم دخلوا بغداد عام (٦٥٦هـ)، جاءت إشارته عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها في سياق حديثه عن فضائل أبي بكر الصديق رضي الله عنه في عينيته التي مطلعها:

**تواضعْ لربِّ العرشِ علَّك تُرفَعُ      لقد فازَ عبدٌ للمهيمن يخضعُ**

قال فيها:

**وخيرُهُمُ الصدِّيقُ إذ هوَ منهمُ ... إلى السبق في الإسلام والبرِّ أسرعُ**

**وفي ليلة الغار افتداهُ بنفسِهِ ... حذاراً عليه من أراقِمَ تلسعُ[(١)]**

**وأتحفه بالبكر عائشةَ التي ... براءَتُها في سورةِ النُّور تسمع**

**فكان له صهراً وصلى وراءه ... النبيُّ صلاةَ الصبح والصحبُ أجمعُ**

*** صوت من الأندلس:**

وأشار إلى براءة الصديقة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا ومناقبها الشاعر المبدع ابن جابر الأندلسي (ت٧٨٠هـ) الذي تغنّى شعره بالمديح النبوي الرائع فردد الكون ألحانه أزماناً بعد أزمان، كيف لا وقد خصص في المديح النبوي ديواناً ضخماً كاملًا أسماه نظم العقدين في مدح سيد الكونين، قال في مدحيته الشهيرة التي ورَّى فيها بأسماء سور القرآن الكريم:

**في كل فاتحةٍ للقول معتبرة ... حقُّ الثناءِ على المبعوثِ بالبقرة**

وقد أشار الشاعر إلى حادثة الإفك في قصيدته البديعة بتلميح يغني عن التصريح فاح منه شذى البراعة والإبداع، يقول:

**وفي خديجة والزهرا وما ولدت ... أزكى مديحي وأهدي دائماً دُرَرَهْ**

**عن كل أزواجه أرضى وأوثرُ مَنْ ... أضحتْ براءتُها في الذكر مستطره**

**أقسمتُ لا زلتُ أهديهم شذى مِدَحٍ ... كالروض ينثر من أكمامه زهره**

*** الشيخ عثمان بن سند الوائلي:**

وحينما رد الشيخ عثمان بن سند الوائلي (ت١٢٤٢هـ) على إفك الشاعر

(١) أراقم: أفاعي.

العباسي دعبل الخزاعي في قصيدة له يطعن فيها بخلافة الصديق رضي الله عنه فما كان من الشيخ الشاعر عثمان إلا أن ضمن من قول حسان في أمنا عائشة في دفاعه عن الصديق رضي اللَّه عنهم جميعاً، وهو مسلك بلاغي يدل على ما يتمتع به الشاعر من ثقافة واسعة، كما أنها تدل على لطف الإشارة وبراعة المأخذ والتضمين من الصديقة إلى الصديق في غرض واحد وهو الدفاع في قضيتيهما العادلتين:

**وما ضرها قدح العداة بعرضها إذا هي عُدَّتْ في النسا الخفرات**

**فكم من حصان لا تزن بريبة رمتها بغايا الحي بالهفوات**

**ولو ضرها ضر البزاة إذا سمت صفير بغاث الطير في الوكنات**

وهو يعني في هذه الأبيات البيعة لأبي بكر رضي الله عنه ، إنها مذكرة دفاع وجدانية ناجحة استندت إلى كلمات الدفاع الشهيرة عن الطاهرة الصديقة بطلة القضية العادلة الخالدة التي ظلت نبراساً للحق والعدالة، وعبرة في الظلم والتجني وسلوى للصبر والبراءة.

**حصان رزان لا تزن بريبة وتصبح غرثى من لحوم الغوافل**

وفي موضع آخر من ديوانه النفيس الصارم القرضاب في نحر من سب أكارم الأصحاب، وهو ديوان قصره الشاعر على مدح الصحابة رضي الله عنهم من خلال الرد على الشاعر العباسي دعبل الخزاعي، الذي لم يخل ديوانه من سب لبعض جلة الصحابة رضي الله عنهم ، قال الشاعر عثمان:

**يا أمةً صرف الضلالُ قلوبها من ذا على نهج الشقا دلاك**

**فلقد هجوت المسلمين جميعهم وهم الخيار كما حكى مولاك**

**ورميت أقمار الهدى بنقائص لما بها رب السماء رماك**

**أتدين أصحاب النبي لعهده نقصوا كذبت وجُرت في دعواك**

**فرميت زوجته بإفك فاحش واللَّه برأها وما برّاك**

**وصاك في أصحابه خيرا كما عن سبهم أبد السنين نهاك**

**فجزيتهم بالسب بعد مدائح من ربهم عن ثلبهم تنهاك**

جاءت هذه القصيدة رداً على قول دعبل من قصيدة له:

**يا أمة نقضت عهود نبيها أفمن إلى نقض العهود دعاك**

ويتضح من سياق القصيدة أنه يقصد بهذه الأمة التي نقضت العهود الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ، ولبئس القول والادعاء.

*** الشيخ يوسف النبهاني:**

ومن الشعراء الذين أشادوا بفضائل الصديقة ونوهوا بمناقبها؛ الشيخ يوسف بن إسماعيل النبهاني صاحب كتاب المجموعة النبهانية في المدائح النبوية، رئيس محكمة الحقوق في بيروت، وقد ورد ذكره لأم المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا في قصيدته طيبة الفراء في مدح سيد الأنبياء، التي وازن بها همزية البوصيري الشهيرة، يقول في مطلعها:

**نورك الكل والورى أجزاء يا نبياً من جنده الأنبياء**

ولم تخل هذه القصيدة من مبالغات معهودة في مثل هذه المواطن الشريفة هي محل نظر عند بعض علماء الشريعة لا تعنينا هنا بقدر ما يعنينا حديث الشاعر عن أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، حيث قال في سياق حديثه عن

أمهات المؤمنين رضي الله عنهن:

**وبروحي فخر النساء على الاطلاق ذات الفضائل الحمراءُ**

**بنت صديقك الأحب من الكل إليك الصديقة العذراءُ**

**أعلم العالمات في الناس عنها قد روى شطر ديننا العلماءُ**

**ذات فضل لو كان يقسم في كل نساء الورى فضلن النساءُ**

**من أراك الرحمن صورتها قبل حوتها الحريرةُ الخضراءُ**

**بين سحر لها ونحر وفاة لك كانت يا نعم هذا الوفاءُ**

**سهل الموتَ رؤيةُ اليد في الجنة منها وهي اليد البيضاءُ**

**رضي الله عن أبيها وعنها ورضيتم فلتسخط الثقلاءُ**

*** الشاعر فهد بن علي العبودي:**

وفي الدفاع عن أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا من دعاوى الأفاكين قال الشاعر السعودي فهد بن علي العبودي في قصيدته (أم العفاف):

**ولغ الوغد في فرات العفاف أيضر الفرات كيد الضعاف**

**غار وحل البهتان فيه غريقا ونقاء الأمواه يختال طاف**

**إنما أمنا حصان رزان بل تسامى عن هذه الأوصاف**

**إن يكن للعفاف في الناس أم فهي رغم الأوباش أم العفاف**

**برأ الله عرضها في كتاب لا مست آيُهُ أديم الشغاف**

**لم يزل نبعه ثرياً نميراً يعتفيه فيرتوي كل عاف**

**أفتأتي من بعده وتماري لا يماري فيه سوى الأجلاف**

فأنت ترى من خلال ما عرضناه من مقطعات وأبيات أن تبرأة القرآن الكريم للحصان الرزان أم المؤمنين هو علم في ذكرها، وشامة في جبين الزمن، يشدو بها الشعراء، جيلًا بعد جيل.

❊ ❊ ❊

# الباب الثالث
# ديوان الدفاع عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها

## القصيدة الأولى: قصيدة أبي بكر الصديق رضي الله عنه

### أبو بكر الصديق رضي الله عنه :

عبداللّه بن أبي قحافة عثمان بن عامر بن كعب التيمي القرشي، أبو بكر: أول الخلفاء الراشدين، وأول من آمن برسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم من الرجال، وأحد أعاظم العرب. ولد بمكة، ونشأ سيداً من سادات قريش، وغنياً من كبار موسريها، وعالماً بأنساب القبائل وأخبارها وسياستها، وكانت العرب تلقبه بعالم قريش، وحرم على نفسه الخمر في الجاهلية، فلم يشربها، ثم كانت له في عصر النبوة مواقف كبيرة، فشهد الحروب، واحتمل الشدائد، وبذل الأموال.

بويع بالخلافة يوم وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم سنة ١١ هـ، فحارب المرتدين والممتنعين من دفع الزكاة، وافتتحت في أيامه بلاد الشام وقسم كبير من العراق، واتفق له قواد أمناء كخالد بن الوليد، وعمرو بن العاص، وأبي عبيدة بن الجراح، والعلاء بن الحضرمي، ويزيد بن أبي سفيان، والمثنى ابن حارثة.

كان موصوفاً بالحلم والرأفة بالعامة، وكان خطيباً لسناً، وشجاعاً بطلاً،

مدة خلافته سنتان وثلاثة أشهر ونصف شهر، وتوفى في المدينة. له في كتب الحديث ١٤٢ حديثاً. قيل: كان لقبه« الصدِّيق» في الجاهلية، وقيل: في الإسلام لتصديقه النبي ﷺ في خبر الإسراء. وأخباره كثيرة أفرد لها صاحب «أشهر مشاهير الإسلام» نحو مئة وخمسين صفحة. وأتى إبراهيم العبيدي في «عمدة التحقيق في بشائر آل الصديق» على كثير منها. ومما كتب في سيرته «أبو بكر الصديق» لمحمد حسين هيكل، و«أبو بكر الصديق» للشيخ علي الطنطاوي[١].

**قوله للشعر:**

لا أتصور أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه كان شاعراً يعرف بالشعر لكنه لا يمتنع عليه أن يكون قد قال الشعر في مواطن قليلة مثله مثل أي عربي تجيش قريحته حيال أمرٍ اتفاقاً، وهذا ما نفهمه من قول الإمام الشعبي: كان أبو بكر يقول الشعر وكان عمر يقول الشعر وكان علي أشعر الثلاثة[٢].

وقد وجد في فهرس مخطوطات المكتبة الظاهرية في دمشق مخطوط لديوان أبي بكر الصديق رضي الله عنه وقد حققه الأستاذ راجي الأسمر عام ١٩٩٧م، ورغم أن أبا بكر رضي الله عنه لا يعرف على أنه شاعر، وعلى الرغم من اطلاع الباحثين على تراثنا الأدبي إلا أنه لم يشر أحد منهم إلى أن لأبي بكر ديواناً أو على ما ينص على ذلك. ولكن قد يعثر على بعض الأبيات والمقطوعات الشعرية منسوبة إليه في بعض كتب التاريخ والأدب مثل لسان العرب وتاج العروس والسيرة النبوية وأنساب الأشراف وجمهرة

(١) الأعلام (٤/ ١٠٢).
(٢) تاريخ دمشق (٤٢/ ٥٢٠).

أشعار العرب وتاريخ دمشق وغيرها من الكتب.

يضاف إلى ما تقدم أنه قد أُثر عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه عدد كبير من الخطب والوصايا والتوقيعات والمحاورات والرسائل والكتب والعهود والوثائق التي تدل على غزارة إنتاجه الأدبي، كما أن المتأمل فيها يتأكد لديه بلاغته وفصاحته وربما استشهد في بعضها ببعض أبيات من الشعر كأبيات طفيل الغنوي التي استشهد بها في خطبة يثني بها على الأنصار، يقول رضي الله عنه :

يا معشر الأنصار إن شئتم أن تقولوا إنا آويناكم في ظلالنا وشاطرناكم في أموالنا ونصرناكم بأنفسنا فلكم وإن لكم من الفضل ما لا يحصيه العدد وإن طال به الأمد، فنحن وأنتم كما قال طفيل الغنوي:

**جزى اللّه عنا جعفراً حيث أزلفت　　بنا نعلنا في الواطئين فزلّت**

**أبَوْا أن يملّونا ولو أن أمّنا　　تلاقي الذي يلقون منا لملت**

**هم أسكنونا في ظلال بيوتهم　　ظلال بيوت أدفأت وأظلتِ**[1]

لكنه يظل أمر قوله للشعر أمراً مشكوكاً فيه بين المؤرخين والأدباء، خصوصاً إذا وجدنا أن أغلب هذا الشعر فيه ركة وضعف وسذاجة في الأفكار وتناقض في المعاني وكسور في الأوزان وأخطاء في النحو، وعلى أية حال فقد استقيت القصيدة التالية المنسوبة إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه من عدد من المراجع سأشير إليها وأثبتها لأنها تناسب غرض هذا الكتاب وهو قصائد الدفاع عن أم المؤمنين رضي الله عنها .

(١) أدب الخلفاء الراشدين ص(٤٠١).

**القصيدة:**

قصيدة أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في الدفاع عن أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا :

قال أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لمسطح في رميه عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، وكان يُدعى عوفًا:

**يا عوف ويحك هلا قلت عارفةً ... من الكلام ولم تتبع (به) طمعا**

**فأدركتك حُمَيّا معشرٍ أُنُفٍ ... فلم تكن قاطعاً يا عوف منقطعا(١)**

**أما حَزِنْتَ من الأقوام إذ حَسَدوا ... من أن تقولَ وقد عايَنْتَهُ قَرَعا(٢)**

**لمَّا رأيتَ حَصانًا غيرَ مُقْرِفَة ... أمينةَ الجيبِ لم تعلمْ لها خَضَعا(٣)**

**فيمن رماها وكنتم معشراً أُنُفاً ... في سيئ القول من لفظ الخنا سُرُعا**

**فأنزلَ اللَّهُ عُذراً في براءَتِها ... وَبَيْنَ عوفٍ وبينَ اللَّهِ ما صنعا**

**فإنْ أعِشْ أَجْزِ عوفاً في مقالته ... سوء الجزاء بما أَلْفَيْتُهُ تبعا(٤)**

❊ ❊ ❊

---

(١) الحميّا: شدة الغضب.

(٢) القرع: الخطر الوشيك.

(٣) حصان: عفيفة، أمينة الجيب: كناية عن العفاف والطهر، الخضع: الذل.

(٤) ديوان أبي بكر الصديق ص(٤٤)، مزيل الخلة والجهل ص(٢٥٣)، حديث الإفك ص(١٨٣).

## القصيدة الثانية: قصيدة الصحابية الجليلة كبشة بنت رافع رضي الله عنها:

هي كبشة بنت رافع بن عبيد الخدرية الأنصارية وهي أم سعد بن معاذ الصحابي، لها صحبة، عاشت حتى مات ابنها سعد ورثته بقولها:-

**ويــل أمّ ســعــد سـعـدًا ... صــرامــةً وقــدّا**

لما خُرِجَ بجنازة سعد بن معاذ رضي الله عنه جعلت أمه تبكي، فقال لها عمر: انظري ما تقولين يا أم سعد، فقال رسول اللَّه صلى الله عليه وآله وسلم: «دعها يا عمر، كل باكية مكثرةٌ إلا أم سعد ما قالت من خير فلن تكذب»[1].

**القصيدة:**

قالت أمُّ سعد بن مُعاذ رضي الله عنها في الذين رَمَوا عائشة من الشعر:

**شـهـدَ الأوسُ كـهـلُها وفـتـاهـا ... والخماسي من نَسلها والفَطيمُ**

**ونـسـاءُ الـخـزرجـيّـيـن يـشـهـدْن ... بـحـقٍّ وذلـكـم مـعـلومُ**

**أن ابنة الصِّدِّيق كانت حَصانًا ... عَفَّةَ الجيبِ دينُها مستقيمُ**

**تتَّقي اللَّه في المغيب عليها ... نـعـمة الـلَّه سترها ما تـريـمُ**

**خير هدْي النِّساءِ حالًا ونفْساً ... وأَبـاً لـلـعـلى نـمـاهـا كـريـمُ**

**لـلـمـوالـيِّ إذ رمَـوهـا بـإفـكٍ ... أَخـذتـهـم مـقـامـعٌ وجـحـيـمُ**

(١) الإصابة في تمييز الصحابة(٨/ ٢٩٤). الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٤/ ٤٦٠)، والحديث أخرجه الطحاوي في مشكل الآثار (١٠/ ٣٦٩).

لـيتَ مَن كان قد قفاها بسوءٍ   في حطام حتى يتوبَ اللَّئيمُ
وعـوانٍ مـن الـحـروب تَـلظَّـى   يـتـبـنـى فـوقـهـا عـقـابٌ كـريـمُ
لـيتَ سعدًا ومن رماها بسوءٍ   في كظاظٍ حتى يتوبَ الظَّلومُ[١]

❊ ❊ ❊

(١) حديث الإفك ص(١٨٣).

## القصيدة الثالثة: حصـــان رزان:
## للصحابي الشاعر/ حسان بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

**الشاعر/ حَسَّان بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**
**(٠٠٠-٥٤ هـ = ٦٧٤م)**

حسَّان بن ثابت بن المنذر الخزرجي الأنصاري، أبو الوليد، الصحابي، شاعر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وأحد المخضرمين الذين أدركوا الجاهلية والإسلام، عاش ستين سنة في الجاهلية، ومثلها في الإسلام، وكان من سكان المدينة. واشتهرت مدائحه في الغسانين، وملوك الحيرة، قبل الإسلام، وعمي قبيل وفاته.

لم يشهد مع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مشهدًا، لعِلةٍ أصابته، وكانت له ناصية يسدلها بين عينيه، وكان يضرب بلسانه روثة أنفه من طوله. قال أبو عبيدة: فضل حسان الشعراء بثلاثة: كان شاعر الأنصار في الجاهلية، وشاعر النبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في النبوّة، وشاعر اليمانيين في الإسلام، وكان شديد الهجاء، فحل الشعر. قال المبرد «في الكامل»: أعرق قوم كانوا في الشعراء آل حسّان، فإنهم يعدون ستة في نسق، كلهم شاعر، وهم: سعيد بن عبدالرحمن بن حسان بن ثابت بن المنذر بن حَرام، توفى في المدينة، وفي «ديوان شعره» ما بقي محفوظاً منه، وقد انقرض عقب حسَّان. ومما كتب في سيرته وشعره «أخبار حسان» للزبير بن بكار، و«حسان بن ثابت» لحنا نمر، ومثله لخلدون الكناني، ومثله لفؤاد البستاني[١].

(١) الأعلام(٢/ ١٧٥).

من أشهر قصائده رضي الله عنه قصيدته في فتح مكة وقد تضمنت الرد على أبي سفيان مطلعها:

**ألا أبلغ أبا سفيان عني ... مغلغلة فقد برح الخفاء**

**بأن سيوفنا تركتك عبداً ... وعبد الدار سادتها الإماء**

**هجوت محمداً وأجبتُ عنه ... وعند اللَّه في ذاك الجزاء**

**اتهجوه ولست له بكفؤ ... فشركما لخيركما الفداء**

ومن مواقفه الشهيرة رضي الله عنه معارضته لوفد بني تميم حين قال شاعرهم الزبرقان ابن بدر:

**نحن الكرام فلا حيٌّ يعادلنا ... منا الملوك وفينا تنصب البيع**

فلما فرغ قال رسول اللَّه صلى الله عليه وآله وسلم لحسان: قم يا حسان فأجب الرجل، فقال:

**إن الذوائب من فهر وإخوتهم ... قد بينوا سنةً للناس تُتَّبَعُ**

**يرضى بهم كلُّ من كانت سريرته ... تقوى الإله وكل الخير يصطنع**

**قوم إذا حاربوا ضروا عدوهم ... أو حاولوا النفع في أشياعهم نفعوا**

ولحسان رضي الله عنه مراثٍ في النبي صلى الله عليه وآله وسلم أشهرها قوله:

**بطيبة رسم للنبيّ ومعهد ... منير وقد تعفو الرسوم وتهمد**

**ولا تمحّي الآيات من دار حرمةٍ ... بها منبر الهادي الذي كان يصعد**

**وواضح آيات وباقي معالم ... وربع له فيه مُصَلّىً ومسجد**

**بها حجرات كان ينزل وسطها ... من اللَّه نور يستضاء ويوقد[١]**

---

(١) تاريخ الأدب العربي / د. فروخ(١/ ٣٢٥).

أجمع الرواة أن حساناً أشعر المخضرمين، وقد سماه النبي ﷺ الحسام، وكان شعره يبلغ المشركين ما يبلغ السيف الحسام، حتى أن أحياءً كثيرة أسلمت فزعاً من شعره، قال فيه النبي ﷺ كما ورد في السير: «لهو أشد عليهم من نضح النبل» وممن أسلم من شعر حسان: ابن الزبعري.

فقد خاطب ابن الزبعري حين هرب من النبيّ ﷺ يوم فتح مكة إلى نجران بأبيات آخرها.

**غضب الإله على الزبعرى وابنه وعذاب سوء في الحياة مقيم**

فلما سمعها ابن الزبعرى رجع إلى رسول ﷺ فأسلم وقال أبياتاً على وزن أبيات حسان وقافيتها يعتذر فيها إلى الرسول ﷺ ويعلن إيمانه وأولها:

**منع الرقادَ بلابلٌ وهموم والليل معتلج الرواق بهيم**

وقد استحسن بعض الشعراء والنقاد فرائد من أبياته، منها ما ورد أن الحطيئة لما حضرته الوفاة قال: أبلغوا الأنصار أن أخاهم أمدح الناس، حيث يقول:

**يُغْشَون حتى ما تهر كلابهم لا يسألون عن السواد المقبل**

وقال الأديب مجد الدين النشابي الكاتب: من أحسن ما سمعت من غرر أبياته:

**وكنت إذا ما موكب صد موكبا لدى الروع يوم الورع وحدك موكبا**[١]

---

(١) المذاكرة في ألقاب الشعراء ص(٦٢).

وقد ذكر الناقد الأديب أبو عبيده إجماع النقاد على تفضيل حسان، يقول: اتفقت العرب على أن أشعر أهل المدر أهل يثرب، ثم عبد القيس ثم ثقيف، وعلى أن أشعر أهل يثرب حسان بن ثابت رضي الله عنه .

وقد شفع لحسان رضي الله عنه شعره في المنافحة عن رسول اللَّه رضي الله عنه عند أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ، خصوصاً أنه كان من الخائضين في حديث الإفك كما ورد في بعض كتب السير، وتراجع عن ذلك في أبياته التي سنوردها، فإذا ذكر عندها بسوء دافعت عنه ونهت عن شتمه، وذكروا أنه لما مات مرَّ بجنازته على السيدة عائشة فنال بعض جلسائها منه فنهتهم عن ذلك لقوله في رسول اللَّه صلى الله عليه وآله وسلم :

**فـإن أبـي ووالـده وعـرضـي ... لعرض محمد منكم وقاء[1]**

***قصيدة حسان بن ثابت رضي الله عنه :***

**حصانٌ[2] رَزانٌ ما تُزَنُّ بريبة ... وتصبحُ غَرثى من لحوم الغوافل**

**حَلِيلةُ خَيْرِ النَّاسِ دِينًا وَمَنْصِبًا ... نَبيِّ الْهُدَى وَالمَكْرُمَاتِ الْفَوَاضِلِ**

**عَقِيلةُ[3] حَيٍّ مِنْ لُؤيِّ بْنِ غَالِبٍ ... كِرَامِ المَسَاعِي مَجْدُهَا غَيْرُ زَائِلِ**

**مُهَذَّبَةٌ قَدْ طَيَّبَ اللَّهُ[4] خِيمَهَا ... وَطَهَّرَهَا مِنْ كُلِّ سُوءٍ وَبَاطِلِ**

**فَإِنْ كُنْتُ قَدْ قُلْتُ الَّذِي قَدْ زَعَمْتُمُ ... فَلا رَفَعَتْ سَوْطِي إِلَيَّ أَنَامِلي**

---

(١) حسان بن ثابت حياته وشعره ص(١٠٧).
(٢) حصان: عفيفة، ما تزن: ما تتهم، غرثى: جائعة.
(٣) عقيلة: أي كريمة الحي.
(٤) طيب الله خيمها: أي أصلها.

وَإِنَّ الَّذي قَدْ قِيلَ لَيْسَ بِلائِطٍ[١] بِها الدَهْرَ بَلْ قَوْلُ امْرِئٍ بِيَ مَاحِلِ

فَكَيْفَ وَوُدِّي مَا حَيِيتُ وَنُصْرَتي لآلِ نَبِيِّ اللَّهِ زَيْنِ الْمَحَافِلِ

لهُ رُتَبٌ عَالٍ عَلَى النَّاسِ كُلِّهِمْ تَقَاصَرُ عَنْهُ سَورَةُ[٢] المُتطَاوِلِ

رَأَيْتُكِ وَلْيَغْفِرْ لَكِ اللَّهُ حُرَّةً مِنَ الْمُحْصَنَاتِ غَيْر ذَاتِ غَوَائِلِ[٣][٤]

* * *

(١) لائط: أي لاصق متهم بنسبه، ماحل: أي كاذب.

(٢) السورة: الغضب.

(٣) الغوائل: جمع غائلة أي الشر.

(٤) ديوان حسان بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ص (٣٧٧).

## القصيدة الرابعة: القصيدة الوضَّاحية
## للشاعر/موسى بن بهيج الأندلسي

ذكره ابن الأبار في التكملة لكتاب الصلة حيث قال:

موسى بن بهيج المغربي الواعظ، أندلسي من أهل المرية، نزل مصر، يكنى أبا عمران كان من أهل العلم والأدب، وله في الزهد وغيره أشعار حملت عنه، ذكره ابن خير، وكان أبو عمر المعروف بابن يمنالش الزاهد ينشر لابن بهيج هذا:

**إنما دنياك ساعة فاجعل الساعة طاعة**
**واحذر التقصير فيها واجتهد ما قدر ساعة**
**وإذا أحببت عزاً فالتمس عز القناعة**[(١)]

ويترجم له المقري في (نفح الطيب) في ذكره لمن رحل إلى المشرق فقال: موسى بن بهيج المغربي الأندلسي الواعظ الفقيه، العالم، من أهل المرية، نزل مصر يكنى أبا عمران، كان من أهل العلم والأدب، وله في الزهد وغيره أشعار حملت عنه[(٢)].

كما أن الحافظ أبو طاهر السلفي روى له شعراً في (معجم السفر) منه ما قاله حين غاب عن عشائره مدة بالمشرق فعمل بمصر موشحاً منه قوله:

**حكى نوح المستهام مما به من غرام**

(١) التكملة لكتاب الصلة(٢/ ١٧٥).
(٢) نفح الطيب (٢/ ٢٢١).

نــوحــاً كــنــوح الــحــمــام عــلى ذرى الآكــام
غــداً يــجــري بــانــســجــام دمــعــاً كــصــوب الــغــمــام
يــشــكــو لــكــل الأنــام مــا بــالــحــشــا مــن كــلام[1]

ولم يذكر ابن الأبار ولا المقري سنة وفاته ولكنه كان حياً سنة ٤٩٦هـ إذ كان بمصر.

وقد استنبط العلامة المحقق عبداللّه كنون رَحِمَهُ اللَّهُ من مجموعة المعلومات التاريخية الواردة حول ابن بهيج مجموعة من الإشارات التاريخية حيث يقول:

وقد أوحى لنا هذا الوصف من أول وهلة أنه ربما «ورُبّ للتكثير» أطلق عليه في المشرق، لأنه لا يصح أن يعرف به وهو في بلده الأندلس، فالأندلسيون يُنسبون عادة إلى قبائلهم أو مدنهم وقراهم، وقلما يجري وصف الواعظ بينهم مقصورًا على شخص بعينه، وبالعكس من ذلك فإن الشخص إذا اغترب كثيراً ما ينسى أصله وينسب إلى قطره فقط، والوصف بالواعظ معهود في المشرق متداول، منذ أن تُرك وصف القاصّ الذي لم يُستعمل هو أيضاً في الأندلس ولا في المغرب عموماً.

وعليه يكون صاحبنا قد رحل إلى المشرق، وزاول هناك مهمَّة الوعظ فعرف بها ونُسب إلى قُطره الأندلس، وتنوسي نسبُه الأصيل، بل تُنوسيت ترجمته في بلده وفي المشرق، كما وقع لكثير غيره ممن رحل إلى المشرق من المغرب أو إلى المغرب من المشرق، وقد كنا أشرنا إلى هذه الحقيقة في تعريفنا بالواعظ البغدادي صاحب القصائد الوتْريات الشهيرة.

(١) معجم السفر(١٤٤).

وقد تحقق لنا هذا الاحتمال عندما اطّلعنا على نسخة شرقية من القصيدة كتبت في مصر، وعليها سماع من الشيخ مرتضى الزّبيدي شارح القاموس، متصل بناظمها، وقد جاء في آخر السماع أن الأفضل وزير مصر السُّنِّي أجازه عليها بمائة دينار لما بلغته.

والغريب في الأمر أن الوزير المشار إليه هو الأفضل بين أمير الجيوش بدر الجمالي وزير للمستنصر والمستعلي والآمر من خلفاء الفاطميين بمصر، وموضوع القصيدة يخالف ما كان سائداً من هؤلاء الخلفاء من طعن في الصحابة وأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها إلا أن الوزير أجازه، وينقضي العجب عندما يعلم أن هذا الوزير قد أظهر السنة وأبطل الكثير من البدع وكان من العدل وحسن السيرة على صفة جميلة[١].

وقد احتفى العلماء بقصيدته في الدفاع عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها حفاوة بالغة، وقد رواها سماعاً وكتابةً عدد غفير من العلماء منهم أئمة أعلام كأمثال الشمس الرملي وشيخ الإسلام زكريا الأنصاري والحافظ ابن حجر والشيخ مرتضى الزبيدي صاحب كتاب تاج العروس وغيرهم.

وقد ذكر الشيخ المحقق نظام يعقوبي سلاسل أسانيد العلماء والرواة لهذه القصيدة مما يدلك على عظم قدرها عندهم وقال راويها العلامة الزبيدي في مستهل سند روايتها:

**بسم اللّه الرحمن الرحيم**

حمداً لمن نزل براءة الصديقة في كتابه وصلاة وسلاماً على سيدنا محمد وآله وصحبه وبعد. . .

(١) أنجم السياسة وقصائد أخرى (ص٤٠).

ثم ذكر سلسلة السند، وقال عن القصيدة العلامة عبداللَّه كنون رَحِمَهُ اللَّهُ : وهي قصيدة في مناقب أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، اشتملت على ذكر فضائلها وفضائل والدها أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، ومُجادلة الخصوم المبغضين لها المتقولين عليها، ومُحاجَّتهم بالدليل من الكتاب والسنة، في إيمان صادق ودفاع حار، وبالواقع التاريخي الذي لا نزاع فيه من سيرتها العطرة؛ وسيرة أبيها الخليفة الأول رضوان اللَّه عليه، وكل ذلك بأسلوب بارع وبيان رفيع، ونظام محكم متين. وإلى هذا وبقطع النظر عن كل اعتبار فالقصيدة تعبر عن عاطفة إنسانية رفيعة، لأنها تتخذ موقف المساندة بجنب سيدة شريفة أثناء أزمة هي أعنف أزمة تمر بها امرأة في حياتها، فتنافح عنها وعن كرامتها حتى تحتفظ لها بسمعتها الطيبة وذكرها الجميل.

ومما أبرَّ به صاحب هذه القصيدة، أنه جعلها على لسان السيدة عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا نفسها فبعد المطلع الذي يُؤذن بمقصوده، تخلَّص في البيت الثاني إلى إعطائها الكلمة، فجعلها هي التي تُناظر وتُفاخر وتدفع في نحور الأعداء بسلاح الحجة والبرهان الذي يُطوِّقهم الخِزْي والعار، فلو أنها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا نطقت فعلًا بشعر في الموضوع، لما زادت على ما احتوته هذه القصيدة، وهي من هي قوة بيان وشدَّة عارضة.

وهذا مما يدل على بلاغة منشئها ومقدرته البيانية، وتمكُّنه من صناعة الشعر فضلًا عن رسوخ قدمه في المعرفة بعلم الحديث والسيرة النبوية والتاريخ وسائر العلوم الإسلامية[١].

(١) أنجم السياسة وقصائد أخرى ص(٤١).

## القصيدة الوضّاحيّة للشاعر/ ابن بهيج الأندلسي

### بسم اللَّه الرحمن الرحيم

قال الشيخ الإمام العلامة كريم الدين أبو الفضل محمد بن الشيخ الإمام العلامة شمس الدين محمد بن محمد بن علي بن محمد بن محمد بن البلبيسي الشافعي:

أخبرتنا الشيخة المكثرة أم الفضل هاجر القدسية، سماعاً عليها بسماعها لها على ابن الشيخة، قال:

أخبرنا بها أبو الحسن علي بن إسماعيل بن إبراهيم بن قريش، قال:

أخبرنا بها الرشيد أبو الحسين يحيى بن علي بن عبد اللَّه القرشي العطَّار الحافظ، قال:

أخبرنا بها أبو الطاهر عبدالمنعم بن موهوب اليزني القاري إجازة، قال:

أنشدنا ناظمها أبو عمران موسى بن محمد بن عبداللَّه الأندلسي الحافظ، عُرِفَ بابن بهيج:

**ما شَانُ أُمِّ المؤمنين وشَاني ... هُدِيَ المُحِبُّ لها وضَلَّ الشَّاني**

**إنِّي أَقُولُ مُبَيِّنًا عَنْ فَضْلِها ... ومُتَرْجِمًا عَنْ قَوْلِها بِلِسَاني**

**يا مُبْغِضِي لا تَأْتِ قَبْرَ مُحَمَّدٍ ... فالبَيْتُ بَيْتي والمَكانُ مَكاني**

**إنِّي خُصِصْتُ على نِساءِ مُحَمَّدٍ ... بِصِفاتِ بِرٍّ تَحْتَهُنَّ مَعاني**

**وَسَبَقْتُهُنَّ إلى الفَضَائِلِ كُلِّها ... فالسَّبْقُ سَبقي والعِنَانُ عِنَاني**

مَرِضَ النَّبِيُّ وماتَ بينَ تَرَائِبي ... فالْيَومُ يَوْمي والزَّمانُ زَماني
زَوْجي رَسولُ اللَّهِ لَمْ أَرَ غَيْرَهُ ... اللَّهُ زَوَّجَني بِهِ وحَبَاني
وأتاهُ جِبريلُ الأَمينُ بِصُورَتي ... فأَحَبَّني المُختارُ حِينَ رآني
أنا بِكْرُهُ العَذْراءُ عِنْدِي سِرُّهُ ... وضَجيعُهُ في مَنْزِلِي قَمَرانِ
وَتَكَلَّم اللَّهُ العظيمُ بِحُجَّتي ... وَبَراءَتِي في مُحْكَمِ القُرآنِ
واللَّهُ خَفَّرَني وعَظَّمَ حُرْمَتِي ... وعلى لِسَانِ نَبِيِّهِ بَرَّاني
واللَّهُ في القُرآنِ قد لَعَنَ الذي ... بَعْدَ البَراءَةِ بالقَبيحِ رَماني
واللَّهُ وَبَّخَ مَنْ أراد تَنَقُّصي ... إفْكاً وسَبَّحَ نَفسَهُ في شاني
إنّي لَمُحْصَنَةُ الإزارِ بَرِيئَةٌ ... ودليلُ حُسْنِ طَهَارَتي إحْصاني
واللَّهُ أحْصَنَني بخاتِمِ رُسْلِهِ ... وأَذَلَّ أَهْلَ الإفْكِ والبُهتانِ
وسَمِعْتُ وَحْيَ اللَّه عِنْدَ مُحَمَّدٍ ... من جِبْرَئيلَ ونُورُه يَغْشاني
أَوْحَى إلَيْهِ وَكُنْتُ تَحتَ ثِيابِهِ ... فَحَنى عليَّ بِثَوْبِهِ خبَّاني
مَنْ ذا يُفَاخِرُني وينْكِرُ صُحْبَتي ... ومُحَمَّدٌ في حِجْرِه رَبَّاني؟
وأَخَذتُ عن أَبَوَيَّ دينَ مُحَمَّدٍ ... وَهُما على الإسْلامِ مُصْطَحِبانِ
وأبي أَقَامَ الدِّين بَعْدَ مُحَمَّدٍ ... فالنَّصْلُ نصْلي والسِّنان سِناني
والفَخْرُ فَخْرِي والخِلَافَةُ في أبي ... حَسْبي بِهَذا مَفْخَرًا وكَفاني
وأنا ابْنَةُ الصِّدِّيقِ صاحِبِ أَحْمَد ... وحَبِيبِهِ في السِّرِّ والإعلانِ
نَصَرَ النبيَّ بمالِهِ وفِعالِه ... وخُرُوجِهِ مَعَهُ مِنَ الأوطانِ
ثانيه في الغارِ الذي سَدَّ الكُوَى ... بِرِدائِهِ أَكْرِم بِهِ مِنْ ثانِ

وجَفا الغِنى حتَّى تَخلَّل بالعَبَا ... زُهـدًا وأَذْعَـنَ أَيَّـمـا إذْعـانِ
وتَـخَـلَّلَتْ مَـعَـهُ مَـلائِكَـةُ الـسَّـمـا ... وأَتَـتْـهُ بُـشـرى الـلَّهِ بـالـرِّضْـوانِ
وهو الذي لَمْ يَخْشَ لَوْمةَ لائمٍ ... في قَتْلِ أهلِ البَغْيِ والعُدوانِ
قَتَلَ الأُلى مَنَعوا الزَّكاة بكُفْرِهِم ... وأَذَل أَهْلَ الـكُـفـر والـطُّـغـيـانِ
سَبَقَ الصَّحَابَةَ والقَرَابَةَ لِلهُدى ... هو شَيْخُهُمُ في الفضلِ والإِحْسانِ
واللَّهِ ما اسْتَبَقُوا لِنَيْلِ فضيلةٍ ... مِثْلَ استباقِ الخيلِ يومَ رِهانِ
إلَّا وطـارَ أبـي إلـى عَـلْـيـائِها ... فـمـكـانُـه مـنـهـا أَجَـلُّ مـكـانِ
وَيْـلٌ لِعَـبْـدٍ خـانَ آلَ مُـحَـمَّـدٍ ... بِـعَـداوةِ الأزواجِ والأَخْـتـانِ
طُوبى لِمَنْ والى جماعةَ صَحْبِهِ ... ويـكـونُ مِن أَحْـبابِهِ الـحَسَـنانِ
بـيـنَ الـصـحـابـةِ والـقـرابـةِ أُلْفَةٌ ... لا تـسـتـحـيـلُ بِنَـزْغَـةِ الشيـطانِ
هُمْ كالأَصابعِ في اليدينِ تواصُلًا ... هل يَسْتَوي كَفٌّ بغير بَنانِ؟
حَصِرَتْ صُدورُ الكافرين بوالدي ... وقُـلوبُـهُـمْ مُـلِئَتْ مـن الأضـغـانِ
حُبُّ البَتولِ وبَعْلِها لم يَخْتَلِفْ ... مِـن مِـلَّةِ الإسـلامِ فـيـه اثـنـانِ
أكـرم بـأربـعـةٍ أئـمـةِ شَـرْعِـنـا ... فَـهُـمُ لِبـيـتِ الـديـنِ كـالأركـان
نُسِجَتْ مَوَدَّتُهم سَدًى في لُحْمَةٍ ... فَـبِـنـاؤهـا مِـنْ أَثْـبَـتِ الـبُـنـيـانِ
الـلَّهُ أَلَّفَ بَـيْـنَ وُدِّ قُـلُوبِـهِـمْ ... لـيَـغِـيـظَ كُـلَّ مُـنـافِـقٍ طعَّـانِ
رُحَماءُ بَيْنَهُمْ صَفَتْ أَخْلاقُهُمْ ... وخَـلَتْ قُـلُوبُـهُـمُ مِـنَ الـشَّـنَـآنِ
فَدُخُولـهـم بَـيْـنَ الأَحِبَّـةِ كُـلْفَـةٌ ... وسِـبـابُـهُـمْ سَـبَـبٌ إلى الـحِـرْمانِ
جَمَعَ الإلهُ المسلمين على أبي ... واستُـبدلوا مِنْ خـوْفهـم بـأمـان

وإذا أرادَ الـلَّهُ نُـصْـرَة عَـبْـدِهِ    مَـنْ ذا يُـطـيـقُ لَهُ عـلى خُـذْلانِ
مَن حَبَّني فَلْيَجْتَنِبْ مَنْ سَبَّني    إنْ كـانَ صـانَ مَـحَـبَّـتي ورعـاني
وإذا مُـحِـبِّـي قَـدْ أَلَظَّ بِـمُـبْـغِـضي    فَكِلاهُـما في البُغـضِ مُسْتويانِ
إنـي لَطَـيِّـبَـةٌ خُـلِقْـتُ لـطـيِّـبٍ    ونِـسـاءُ أَحْـمَـدَ أطيـبُ النِّسْـوانِ
إنـي لأُمُّ الـمـؤمـنـيـنَ فَـمَـنْ أَبَـى    حُـبِّي فَسَـوْف يَبُـوءُ بـالـخُـسْـرانِ
الـلَّهُ حَـبَّـبَـنـي لِقَـلْبِ نَـبِـيِّـهِ    وإلى الصراطِ المستقيمِ هداني
والـلَّهُ يُـكْـرِمُ مَـنْ أرادَ كَـرامـتـي    ويُـهـيـنُ رَبّـي مـن أرادَ هـوانـي
والــلَّهَ أَسْــأَلُهُ زيــادةَ فَــضْــلِهِ    وحَـمِـدْتُـهُ شُـكْـرًا لِمـا أَوْلانـي
يا من يَلُوذُ بِأَهْلِ بَيْتِ مُحَمَّدٍ    يـرجـو بـذلـك رحـمـةَ الـرحـمـانِ
صِلْ أُمَّهَاتِ المؤمنينَ ولا تَحِدْ    عَـنَّـا فَـتُـسْـلَبْ حُـلَّةَ الإيـمـانِ
إنـي لـصـادِقَـةُ الـمـقـالِ كـريـمـةٌ    إيْ والَّذي ذَلَّتْ لَهُ الـثَّـقَـلانِ
خُـذْهـا إلـيـكَ فـإنَّمـا هـي رَوْضَـةٌ    مـحـفـوفَـةٌ بـالـرَّوحِ والـرَّيـحـانِ
صَـلَّى الإلـهُ عـلى الـنـبـيِّ وآلِهِ    فَـبِـهِـمْ تُـشَـمُّ أزاهِـرُ الـبُـسْـتـانِ

تمت القصيدة المباركة

بعون اللَّه وحسن توفيقه على التمام والكمال

بتاريخ ثاني عشرين من شهر جمادي الأولى سنة ست وسبعين وسبعمائة.

حسبنا اللَّه ونعم الوكيل[١].

❊ ❊ ❊

---

(١) انظر حديث الإفك (٩٧-٩٩).

## القصيدة الخامسة: تخميس القصيدة الوضَّاحية
## للشاعر / عبدالحميد قُدْس
## (١٢٨٠- ١٣٣٥هـ ـ ١٨٦٣ - ١٩١٧م)

عبد الحميد بن محمد علي قدس بن عبد القادر الخطيب الشافعي: فاضل.

كان مدرساً بالحرم المكي، له كتب، منها «إرشاد المهتدي» شرح به رسالة لوالده اسمها كفاية المبتدي في التوحيد، و«الأنوار السنية» في شرح الدرر البهية لأبي بكر بن محمد شطا في فقه الشافعية، و«لطائف الإشارات» في شرح نظم الورقات لإمام الحرمين في الأصول، و«دفع الشدة في تشطير البردة» و«الذخائر القدسية في زيارة خير البرية» و« طالع السعد الرفيع» شرح لبعض المدائح النبوية[١].

قال عنه الشيخ المؤرخ المكي عبداللَّه مرداد أبو الخير: الجاوي أصلًا المكي مولداً الشافعي الأديب الشاعر أخذ العلم عن أهله وذويه ولازم فيه، ثم ذكر أخذه عن علماء مكة، ورحلته إلى الجامع الأزهر وأخذه عن علمائه وتصدى بعد ذلك للتدريس في المسجد الحرام وأثنى عليه كثير من أهل الفضل، ونشر ونظم وألف التآليف العديدة الحسنة المفيدة وذكر

(١) الأعلام (٣/ ٢٨٨).

طرفًا منها بالإضافة إلى تخميسه لقصيدة ابن بهيج[١].

وقد قام الشاعر بتخميس القصيدة الوضاحية لابن بهيج الأندلسي السابقة وأسماها: «بلوغ السعد والأمنية في مدح سيدتنا أم المؤمنين المبرأة الصديقية».

ويقصد بالتخميس أن يعمد الشاعر إلى قصيدة لشاعر قبله فيخمسها بأن يأخذ كل بيت من أبياتها فينظم ثلاثة أشطار قوافيها توافق عروض البيت الأصلي، ثم يأتي بالبيت الأصلي، وتتبين براعة الشاعر اللاحق في حسن إدماجه للمعاني، حتى كأن العملين لقائل واحد[٢].

**قصيدة / بلوغ السعد والأمنية في مدح سيدتنا أم المؤمنين المبرأة الصديقية وهي تخميس للقصيدة الوضَّاحية:**

**جاء في مقدمتها:**

هذا التخميس النفيس على القصيدة السنية، المقولة على لسان المبرأة الصديقية، سيدتنا أم المؤمنين عائشة المحظية، زوجة وحبيبة خير البرية، صلى الله عليه وآله وسلم وعلى آله وأصحابه وأزواجه بكرة وعشية، وهي متضمنة لمدحتها البهية، تقبَّل اللَّه تعالى ذلك إنه مبلغ الأمنية، آمين.

**وهذه القصيدة:**

**قِفْ واستمع قولًا عظيم الشأن ... في مدح زوج المصطفى العدنان**

**إذ قال عنها مثبتُ البرهان ... (ما شان أُمِّ المؤمنين وشاني)**

**(هُدِيَ المحبُّ لها وضَلَّ الشاني)**

---

(١) القصيدة الوضاحية من لقاء العشر الأواخر.

(٢) معجم علوم اللغة العربية.

فاقت على كل النساء بنُبلها ولدَى العلوم بدت معالمُ طَوْلها

وإذا أردتَ بيانَ عِزَّةِ نيلها (إني أَقول مبينًا عن فضلها)

(ومترجِمًا عن قولها بلساني)

يا مدَّعي حُبّ المشفع أحمد خذ حُبَ حِبَّتِه شفيعَكَ في غد

فإذا أبيتَ أقولُ قول مسدّد (يا مبغضي لا تأتِ قبر محمد)

(فالبيت بيتي والمكان مكاني)

أتظنّ تحظى مع قِلاكَ بمقصد حاشا فأنتَ إذًا بشرٍّ مُغْتدٍ

أو ما ترى ما حزتُهُ بتأيُّدٍ (إني خُصصتُ على نساء محمد)

(بصفاتِ بِرٍّ تحتهن معاني)

سَبقتْ خديجةُ واعترفتُ بفضلها وخصائصي في الذكر منبَعُ جَزلها

ونساءُ أحمدَ فقتُهن بجُلّها (وسبقتُهن إلى الفضائل كلِّها)

(فالسبق سبقي والعِنان عناني)

من ذا الذي قد حاز مثلَ مناقبي إذ كنتُ حِبَّةَ من أشاد مراتبي

فالسعدُ وافاني ونِلتُ مآربي (مرض النبيُّ ومات بين ترائبي)

(واليومُ يومي والزمان زماني)

من سار مثليَ في الخليقةِ سيرَه والسعد أنطقَ باعتلائيَ طَيْرَه

ما زلتُ أشكر للمهيمن خيرَه (زوجي رسولُ اللَّه لم أر غيرَه)

(اللَّهُ زوَّجني بِهِ وحباني)

قد زانني ربي بحسن سريرتي ولدى ذوي الإيمان حسَّنَ سيرتي

وأعزَّني الهادي ففقْتُ عشيرتي (وأتاهُ جبريلُ الأمينُ بصورتي)
(فأحبَّني المختارُ حين رآني )
فأنا الكريمة من غشاني برُّه قد زادني شرفاً وعزًا فخرُه
من ذا يفاخرني وبيتي قبرُه (أنا بكرهُ العذراءُ عندي سرُّه)
(وضجيعُه في منزلي قمران)
فليَ الهنا أعلى المهيمنُ رُتبتي إذ بالحبيب بلغتُ غايةَ بُغيتي
وبسورة النور البهيَّة قِصَّتي (وتكلَّمَ اللَّهُ العظيمُ بحجتي)
(وبراءَتي في محكم القرآن)
وكذاكَ أوْعد من أراد مَذَلَّتي بالخزي والبلوى وأحسنَ نشأتي
وأعزَّني رغماً لُحسن محَجّتي (واللَّهُ عظَّمني وعظَّم حرمتي)
(وعلى لسانِ نبيّهِ برَّاني)
تباً لمن لخلاف ذلك يتذِي حسبي إلهي والمهيمنُ منقذي
فبِهِ نصرتُ على المنافق والبَذِي (واللَّهُ في القرآن قد لعنَ الذي)
(بعدَ البراءة بالقبيح رماني)
سبحان ربِّي إذْ قضى بتخَلّصي وأذلَّ أعدائي ودمَّر مُرْهصي
وأزال همِّي فاستحال تَنغُّصي (واللَّهُ وبَّخ مَنْ أراد تَنَقُّصي)
(إفكًا وسبّح نفسَه في شاني)
فمعيشتي من بعد ذاك هنيئةٌ وحياةُ إخوان النفاقِ رديئةٌ
ولوامعُ البشرى عليَّ مضيئة (إني لمُحصَنةُ الإزار بريئةٌ)

(ودليلُ حُسنِ براءَتي إحصانِي)

هو كيف لا وعليَّ جادَ بنبله    رَبِّي وأكرمني بأجزل طَوْله

ولحسن ظنِّي في الكريم وفضله    (اللَّهُ خصَّصني بخاتم رسله)

(وأذلَّ أهل الكفر والطغيان)

كيف التجاهُلُ عن مقام أوحد    قد فقتُ أمثالي بغير تَردُّد

حَفَّت عنايته ففزت بسؤدد    (وسمعتُ وَحْيَ اللَّهُ عند محمد)

(من جبرئيل ونورُه يغشاني)

مَنْ ذا لهُ الإذلالُ عند جنابه    مثلي ومَن قد حُدِّثَتْ بخطابه

ومنِ استقرتْ والأمينُ ببابه    (أُوحِي إليه وكنت تحت ثيابه)

(فحنا عليَّ بثوبِهِ خبَّاني)

فاللَّهُ نوَّر بالعلوم بصيرتي    وقُصِدتُ بالفتوى ففقتُ بفَتْوَتي

زَمَنَ الأُلى فازوا بأعظم رتبةِ    (مَنْ ذا يُفاخرني ويُنكر صحبتي)

(ومحمدٌ في حِجْرِه ربَّاني)

فأنا بعائشة سُمِّيتُ لِمَقْصِدٍ    وأنا الحظيةُ قد حُظيتُ بسيِّد

وأنا النسيبَةُ قد سَمَوْتُ بِمَحْتَدٍ    (وأنا ابنةُ الصدِّيقِ صاحبِ أحمد)

(وحبيبِهِ في السرِّ والإعلان)

أبوايَ قد سَبَقَا لدينٍ ممجَّدٍ    وإلى المدينة هاجرا بتَوَدُّدٍ

فنشئتُ في الإسلام نشأة مُسعدٍ    (وأخذت عن أبويّ دينَ محمدٍ)

(وهما على الإسلام مصطحِبان)

فالمجدُ مجدِي والسعادةُ مَنْصِبِي والعزُّ عزِّي والنجابةُ مَرْكَبِي
والسعد سعدي والشهامة مَشْربي (والفخر فخري والخلافة في أبي)
(حسبي بهذا مَفْخَرًا وكفاني)
وبأمرِ طهَ قدَّموه بِسُجَّدٍ فَرَضُوا خلافَتَه برأي مرْشِدٍ
فمشى على سَنَنِ المفضَّل أحمدٍ (وأبي أقامَ الدينَ بعد محمدٍ)
(فالنَّصل نَصلي والسِّنان سِناني)
مَنْ مِثْله أرضى النبيَّ بأنسه وقَضى الأنامُ على محاسنِ حَدْسه
وأعَدَّ كلَّ الصالحاتِ لرمسه (نَصَر النبيّ بماله وبنفسه)
(وخروجِهِ معهُ من الأوطانِ)
يومَ النبيُّ إلى المدينة قد نوى ما سار إلَّا والدِيْ مَعهُ سوا
ومَعِيَّةُ المولى بنصرٍ فاستوى (ثانيهِ في الغار الذي سدَّ الكُوَى)
(بِرِدائِهِ أكرِمْ به مِنْ ثانِ)
مُذْ حَلَّ مع طه تكامل مَغْنَما وبقولِ «لا تحزن» تشجَّعَ واحتما
فَعَلَتْهُ بعدُ سكينةٌ ممن سما (وتجلَّلتْ معه ملائكةُ السما)
(وأتتهُ بشرى اللَّهِ بالرضوان)
ما زال يَقْفُو فعلَ طه المجتبى ويسيرُ مهما سار مَعْهُ تحبُّبا
فهو الذي في اللَّهِ حَبَّ تقرُّبا (وجفا الغِنَى حتى تَجَلْبَبَ بالْعبا)
(زهدًا وأظعنَ أيَّما إظعان)
أمضى لواءً للنبيِّ بِنُبلِهِ لتزولَ آثارُ الغُوَاة بطَوْله

وتـدومَ أعـلامُ الـهـداة بـفـضـله (قَتَلَ الذي منع الزكاةَ بجهله)

(وأذَلَّ أهــلَ الــبــغــي والــعــدوان)

فاق الصحابةَ كلَّهم بمكارمٍ إذ كان بحرَ معارفٍ ومراحمٍ

وأبا هدىً ونَدىً وصدقِ عزائمٍ (وهو الذي لم يخشَ لومةَ لائمٍ)

(فــي قــتــل أهــل الــكــفــر والــطــغــيــان)

أفتى الردى بشجاعةٍ بَذَلَ النَّدا أجلى الصدا بشهامةٍ قمع العدا

حَازَ المفاخرَ كم لذلك أرشدا (سبق الصحابةَ والقرابةَ للَّهدى)

(هــو شــيــخــهــم فــي الــعــدل والإحــســان)

حاوى فضائلَ في الأنام جزيلة وخـصـالَ بِـرٍ خـامـرتـه جـلـيـلة

مَنْ مثلُهُ يسمو بكلِّ جميلة (واللَّهِ ما سبقوا لمثل فضيلة)

(مــثــلَ اســتــبــاق الــخــيــل يــوم رهــان)

إلَّا أبيْ فيها كشمس سمائها أو مثلَ جوهرة زهت بضيائها

وكذاك ما راموا محلَّ سنائها (إلَّا وصار أبيْ إلى علْيَائها)

(فــمــكــانُــهُ مــنــهــم أجــلُّ مــكــان)

فـالـلَّهُ أكـرمـه بـأفـضـلِ رِفـده إذ فاز بالهادي ففاق بسعدِهِ

فسما الذُّرَى مَنْ ذا يقولُ بردِّه (وإذا أراد الـلَّهُ نُـصْـرَةَ عـبـده)

(مَــنْ ذا يُــطــيْــقُ لــه عــلى خِــذلان)

والـلَّهُ خَصّ أبيْ بخيرٍ نائبِ وأبـادَ أعـداهُ بـسـهـمٍ صـائـبِ

خَلَفَ النبيَّ فكان أفضلَ نائبِ (جمع الإلهُ المؤمنين على أبيْ)

(فـاسـتـبـدلـوا مـن خـوفـهـم بـأمـان)

ذَا مَحْتَدِي مَنْ رامه فَلْيَقْتني ليرى المقامَ فبالمحبةِ يعتني
فإذاً أقول لمن صَفَى وأحبَّني (مَنْ حبَّنِيْ فَلْيَجْتنِبْ مَنْ سبَّنِيْ)

(إن كـان صـانَ مـحـبَّـتـي ورعـانـي)

جانِبْ مودَّةَ من ألمَّ بمبغض فالزَّينُ تسري فيه وَصمةُ مُمْرضِ
تَعِسَتْ محبةُ من يُلِمُّ بمعرضِ (فإذا مُحِبي قد ألمَّ بمبغِضي)

(فـكـلاهـمـا فـي بـغـضـنـا سـيَّـان)

من ودَّني يحظى بعز مطرِبٍ واللَّهُ يُسعفهُ بخيرٍ صيِّبٍ
أوَليس يعلمُ حِظْوَتي بمُطَيِّبٍ (إني لَطَيِّبَةٌ خُلِقتُ لطيِّبٍ)

(ونـسـاءُ أحـمـدَ أطـيـبُ الـنـسـوان)

فأنا التي مما يُشين سليمةٌ محفوظة قد زيَّنتني شيمة
وخصالُ برٍّ في الأنام وسيمة (إني لَصادقةُ المقال كريمة)

(إيْ والـذي ذلَّتْ لـه الـثـقـلان)

وقد اصطفاني خالقي لصفيّهِ فحُمِيتُ من سوءِ الزمان وغيِّهِ
وكُسيتُ من فخر ألبها بسنيِّهِ (واللَّهُ حبَّبني لقلب نبيِّه)

(وإلـى الـصـراط الـمـسـتـقـيـم هـداني)

سعدٌ لمن قد وَدَّني وتأدّبا وبحبِّهِ الإيمانُ فيه قد رَبا
قد بَشَّرَ المولى المحبَّ تقرُّبا (إِني لأُمُّ المؤمنين فمن أَبَى)

(حُـبِّـي فـسـوف يَـبـوءُ بـالـخـسـران)

فأحِبَّنِي تحظى بكل كرامةِ    واجزمْ بحسن براءَتي وسلامتي
وبطيبِ أصلي في الورى وشهامتي    (واللَّهُ يكرم من يُريد كرامتي)
(ويُهين ربِّي من أراد هواني)
واللَّهُ أتحفني بمِنَّة نَيْلِه    وحبَا أحِبَّائي مواهبَ طَوْلِهِ
وأذلَّ أعدائي بسطوةِ عدلِهِ    (واللَّهَ أسألُهُ زيادةَ فضلِهِ)
(وحمدتُهُ شكراً لما أولاني)
فاقبَلْ دعائي يا كريم بمقصدٍ    وَاخْزِ العدا واجْزِ المحبَّ بسؤددٍ
هذا وذا نصحي لكل مؤيَّدٍ    (يا من يلوذ بأهل بيت محمدٍ)
(يرجو بذلك رحمةَ الرحمن)
أُمْزُجْ محبَّتَهم بحبِّ هُدَى السُّبُلْ    تنجو ففز بسنا محبَّتِهم وصُلْ
وإذا أردتَ العزَّ من سَنَدِ الرسل    (صِلْ أُمهاتِ المؤمنين ولا تحُلْ)
(عَنِّي فتُسْلَبَ حلَّةَ الإيمان)
طوبَى لمن قد حَبَّ خِيْرَةَ أمجدٍ    مِنْ صحبِهِ والآلِ صفوةِ منجدٍ
وجميعِ أزواجِ المشفعِ أحمدٍ    (ويلٌ لعبدٍ خانَ آلَ محمدٍ)
(بعداوةِ الأزواجِ والأختان)
فأَبِي معَ الفاروقِ عصمةُ ديننا    وشهيدُهم عثمانُ مُذْهِبُ رَيننا
وعليٌّ الكرَّارُ نورُ يقيننا    (أكرِمْ بأربعةٍ أئمةِ شرعنا)
(فهمُ لبيت الدين كالأركان)
حُبُّ الصحابةِ والقرابةِ تحفةٌ    يا سعدَ من وافتهُ منها صُدْفة

عَطَفت عليه من المهيمن عطفة (بين الصحابة والقرابةِ أُلفةٌ)

(لا تستحيل بنزغة الشيطان)

مَن شامَ طه نال أبهى مُنيةِ فالصحب قد سُعِدُوا بتلك الخُطْوَةِ

فهمُ الكرامُ وهم قُصارَى بغيتي (نَسَجَتْ محبَّتهم سَدَى في لُحْمتي)

(بنيانها من أثبت البنيان)

لـلَّهِ دَرُّهُم زكى إنفاقُهم في المُكْرَمات كما نما إرفاقهم

باعوا النفوسَ لمن لهُ أشواقُهمْ (رُحَمَاءُ بينهمُ صفت أخلاقهم)

(وَخَلَتْ قلوبُهم من الشَّنَآن)

آلُ الرسول وصحبُهُ بلغوا العلا فمُحِبُّهم طُراً أصاب وفُضِّلَا

ومحِبُّ بعضٍ مخطئٌ سَنَنَ الملا (هم كالأصابع في اليدين تَوَصُّلَا)

(هل تستوي كفٌّ بغير بنان)

طوبى لهم في سَلْمهم وحروبهم فاللَّهُ راضٍ عنهمُ لوُثوبهم

للَّهِ مَن أجلَى جميعَ كروبهم (واللَّهُ أَلَّفَ بين وُدِّ قلوبهم)

(في بُغْض كل منافق طعَّان)

نالوا العلا إذ زيَّنتهم رأْفَةٌ فلهم بجناتٍ أُعِدَّت غرفةٌ

فَمنِ الأُلى بهمُ تُفَرَّقُ أُلفةٌ (فدخلوهم بين الأحبَّة كلفةٌ)

(وسِبابُهم سبب إلى الحرمان)

قد أكرم المولى الصحابَ بقربه لصفا طويَّتِهم بأفضلِ حزبه

طه المرجَّى في المعاد وكَربه (طوبى لمن والى جماعةَ صحبه)

(ويـكـون مـن أحـبـابـه الـحَـسـنَـان)

هذي المعالي إنما هي فيضةٌ استنهضتْها للمكارم نهضةٌ

جمعت أوابدَ ما حوتها غيضة (خذها إليك فإنما هي روضةٌ)

(مـحـفـوفـة بـالـرُّوح والـريـحـان)

يا رب أنجز بالمشفعِ قصدَنا واكْبِتْ أعادينا وجد بغنائنا

عمن سواك فأنت أنفعُ مقتَنى (هذَا ويا ربَّاه جد ليَ بالمنى)

(واغـفـر لـنـاظـمـهـا أبـي عـمـران)

وعُبَيْدَك القدسيَّ زدْ في أجرهِ واحرُس بنيه من الزمان وشره

واحمِ الجميعَ وكن لهُ في دهره (واجعل مكيدةَ مَنْ طغا في نحره)

(والْطُـفْ بـنـا فـي الـسـر والإعـلان)

وامنن علينا بالقبول وبالرضا وبحسن يُسْرٍ واحْمِ من سوءِ القضا

واسبِلْ علينا السَّتْرَ واغفر ما مضى (واعْطِفْ علينا بالنبيّ المرتضى)

(واخـتـمْ لـنـا بـشـهـادة الإيـمـان)

وامْنُنْ على كلٍّ بحسن مآلهِ والأهلِ والأحبابِ معْ أنجالِهِ

والمسلمين ومَن سما بمقاله (صلَّى الإلهُ على النبيِّ وآلهِ)

(فَـبِـهِـمْ تـتـمُّ أزاهـرُ الـبـسـتـان)

ما دِيمةٌ فوق الخمائل قد همت وكذا السلامُ على الجميع ومَن هدت

أنوارُهم للمكرمات وكَمَّلَتْ (والتابعين وتابعيهم ما شَدَتْ)

(فـي دَوْحـةٍ وُرْقٌ عـلـى الأغـصـان)

تَمَّ هذا التخميس الأنيق النفيس بعون الملك العلام، في مدة زهيدة من الأيام، ظهر يوم الخميس الموافق ٢٧ محرم الحرام، عام ١٣١٩ هجرية، على يد ناظمه الراجي ألطاف مولاه الخفية عبد الحميد بن محمد علي قُدُسْ.

فتح اللَّه تعالى عليه وأيده بروح القدس، ونظر إليه والى ذريته ومحبيه بعين الرحمة، وأزال عنهم وعن المسلمين كل غمة. ونسأله تعالى الإخلاص والقبول وبلوغ الأمنية[1].

❊ ❊ ❊

(١) لقاء العشر الأواخر في المسجد الحرام (٣٣).

## القصيدة السادسة: قصة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها

للشاعر أحمد محرم

(آمنت باللَّه جل اللَّه من ملك | كل الملوك هباء في معاليه
سبحانه وتعالى لا شريك له | من ذا يشاركه أم من يضاهيه
الحول والطول والسلطان آيته | والخير والفضل والحسنى أياديه
له القضاء يهدّ العرش منزله | ويصرع الملك الجبار جاريه
لا يعد همك شيء من أوامره | ولا تهم بشيء من نواهيه
وقل لنفسك إن رامت سعادتها | إن السعادة طراً في مراضيه)[(١)]

كم من الشعراء المعاصرين من تحدث عن سعادة النفس بدل وصفه للقلق والضجر الذي يعتوره، أو حالة التمرد التي تغشاه والتي طفحت في شعرنا الحديث، وكم من أولئك الذين تحدثوا عن سعادة النفس ربطها بمرضاة اللَّه تعالى بدل ربطها بليلة حمراء أو حالات العشق أو رشفات من الخمر، وكم من أولئك الذين تحدثوا عن سعادة النفس بمرضاة اللَّه أَتَوْا بها بمثل هذا المنطق الصادق والبيان الجميل مشبعاً بالحالة النفسية لشاعر الإلياذة الإسلامية أحمد محرم.

*ترجمته:*

لعلي لا أجد ترجمة أفضل ولا أصدق من ترجمة الشاعر لنفسه، لكن ربما

(١) ديوان أحمد محرم (٣/ ٣١١).

لا تكون تامة خاصة بعد وفاته كما حدث لشاعرنا أحمد محرم، إذ إنني سوف أتمم ترجمته من مراجع أخرى، أما ترجمته لنفسه فالداعي لها هو أن الأديب والباحث أحمد عبيد لما ألف كتابه النادر مشاهير شعراء العصر، حرص على أن تكون تراجم الشعراء من إنشائهم لأنه كان معاصراً لأكثرهم، وقد كان تأليفه له في عام ١٩٢٢م، وكان من أبرز الشعراء الذين ترجم لهم هو شاعرنا أحمد محرم، وقد توسع في اختياراته من شعره لنفاسته بدليل أن أكثر من اختار من شعره في كتابه هو أحمد شوقي، ويأتي بعده مباشرة أحمد محرم، وقد راسل أحمد عبيد الشاعر أحمد محرم ليكتب له ترجمة عن نفسه.

**ثم شرع في ترجمته لنفسه قائلًا:**

ولد في القاهرة يوم ٥ محرم سنة ١٢٩٤ هجرية من أبوين، أما أحدهما فتركي صميم وأما الثاني فاختلط في أواخره بقليل من الدم المصري وذلك نسبه من جهة الأم. ولما بلغ سن التعليم كان والده قد نزح إلى بعض الأقاليم المصرية، فتخير له مكتباً هناك تلقى فيه مبادئ القراءة والكتابة وشيئاً من القرآن الشريف، فلما قوي ذهنه وعظم استعداده للاستزادة من العلوم والمعارف انتقى له والده أستاذاً من علماء الأزهر الشريف تلقى عليه النحو والصرف والبيان وآداب اللغة وكثيراً من علوم العربية، إلى طائفة صالحة من قواعد الدين وأحكامه، ولم يكن قد تجاوز الاثنى عشر عاماً في ختام ذلك الدور من أدوار نشأته العلمية، فبعث به والده إلى إحدى مدارس الحكومة بالقاهرة، وكانت نفسه قد انطبعت على حب العربية وشدة الشغف بعلومها، فلم ير في المدرسة إلا تعاليم تقصر عن مبتغاه

وتذهب به إلى غير ما يريد، فراجع والده في الأمر فظن أنه يتجنى على المدرسة وأنه ربما سكن إلى غيرها من المدارس الأخرى التي قد تكون أحسن نظاماً وأكفأ أساتذة، فنقله إلى ثانية أكبر من الأولى وأقرب أن تكون عند ظنه، ولكن أحمد محرم الذي لم يكن يريد إلا منزلة المتنبي ومقام البحتري ما كانت نفسه لتسكن إلى أكبر المدارس المصرية التي قضى على اللغة العربية فيها على يد الحكم الأجنبي، فاستأذن والده في الانقطاع عن المدرسة بقصيدة أبان فيها عن ذات نفسه وجهر بمكتوم أمره، فأذن له في العودة إليه ووضع مكتبته الكبيرة بين يديه ليختار منها ما تنبعث نفسه إليه من أمهات الكتب في الأدب والتاريخ والفلسفة الشرقية، ويعكف على الدرس والمطالعة، فاستظهر ما وقع اختياره عليه من هذه الكتب وأعانه والده على جلب ما يريد من كبريات الكتب التي يرى المكتبة خالية منها ويشعر بالحاجة إليها، كما أعانه على الاشتراك في أشهر المجلات وأكبر الصحف، وكان يحرضه على الإجادة في نظم الشعر بضروب من الجوائز السنية وفنون من المناظرات الكبار التي كان يوعز إلى بعض شيوخ الأدب بإثارتها على صاحب الترجمة، وما بلغ الخمس عشرة من عمره حتى أقبل على الصحف السياسية والمجلات العلمية يكتب فيها على المبادئ المنتزعة من حقائق التاريخ والمذاهب القائمة في صميم الآداب.

نال صاحب الترجمة شهادة الامتياز بين شعراء النيل من لجنة التحكيم التي تولت أمر النظر في القصائد المقترحة على كبار الشعراء في عيد جلوس الخديوي سنة ١٩١٠ ميلادية، ونال نحو خمسة عشر جائزة في مسابقات

شعرية ونثرية أخرى اقترحتها الصحف والمجلات في فنون شتى من الأدب، ومواضيع مختلفة من سياسة الممالك وتربية الأمم، وما تصدى كاتب ولا أديب لتعيين طبقات الشعراء إلا عرف له مكانه ووضعه في الصف الأول.

فهو اليوم شاعر الجامعة الإسلامية التي يعمل لها رجال الحرية والسياسة من أبطال العثمانيين وذوي الهمة والعزم من أمراء المسلمين وزعمائهم وخيرة علمائهم وكتابهم في مختلف الأقطار ومتفرق الممالك، ومع ما يظن من شدة تعصبه للدين الإسلامي والشعوب الإسلامية بحكم تلك الحماسة الدينية الملتهبة التي يجدها القراء في قصائده، فإنه لم يغفل أمر الدعوة إلى تأليف الوحدة الشرقية، والمناداة بوجوب التفاف الشرقيين عامة تحت لواء الإخاء الوطني والأمة السياسية الجامعة[١].

هذا ما قاله الشاعر عن نفسه أما ما قاله الأدباء والنقاد والباحثون في الأدب المعاصر فإنه لا يختلف عنه من أمثال خير الدين الزركلي في كتابه الأعلام، والدكتور عبد العزيز شرف في مختارات الزهور، وابن عباس مصطفى رسام في كتابه تراجم الشعراء والأدباء، وزكي محمد مجاهد في الأعلام الشرقية، وأحمد قبش في كتابه تاريخ الشعر العربي الحديث، بل إنهم أكدوا ما قاله وأضافوا إليه ما يعاضد ترجمته ويجري في نسق واحد مع ملامح شخصيته ومجريات حياته، فيقول أحمد قبش في ترجمته:

واتصل بجيل مصطفى كامل وألهم حماسته ووطنيته، عاش عفيف اليد واللسان ولم تفسده مغانم السياسة، ولم يملك إلا بيته المتواضع في دمنهور، عمل في آخر حياته مشرفاً على مكتبة بلدية دمنهور، نادى

(١) مشاهير شعراء العصر ص(١١٤).

بالجامعة الإسلامية والوحدة الشرقية، فكانت ثقافته دينية بيتية، وغلب على شعره الاتجاه الوطني مع النزعة الإسلامية، صدر ديوانه الأول عام ١٩٠٨م، وأبرز أعماله الإلياذة الإسلامية عن الرسول والإسلام وعن الهجرة، على غرار إلياذة هوميروس، وتقع في عدة آلاف من أبيات الشعر العربي، عرض فيها التاريخ الإسلامي وغزواته وحروبه.

يعد أحمد محرم امتداداً طبيعياً لمدرسة التقليد، ويمتاز عن شعراء التقليد جميعاً بترفعه عن السير في ركب الحاكمين والوزراء، وقد أجمع النقاد على أن بين شعره وشعر شوقي تشابهاً وموازنة، وإنما يشتركان في الموسيقى خاصة.

عرف بقوة الديباجة وإشراقها، وجزالة اللفظ، وغلبت عليه حرارة العاطفة وصدق الإيمان، صور موقفه من جيله فقال:

**ظمئت وفي نفسي الأدب المصفى    وضعت وفي يدي الكنز الثمين**

**ظلمت أبي ونفسي إن مثلي    لغال في النوابغ لا يهون**

**كريم تدفع الأخلاق عنه    ويمنع ركنه الأدب الحصين**

لم تعرف العربية الشعر القصصي بمعناه الغربي، وإنما عرفت ضروباً من نظم التاريخ تشبه أن تكون متوناً للحفظ والتسميع، حتى نهض أحمد محرم يحقق الأمل المنشود، فاختار غزوات الرسول ﷺ، موضوعاً لإلياذته أو ملحمته الإسلامية، وتحتفظ دار الكتب المصرية بنسخة مصورة منها، ولقد طبعت باسم «ديوان مجد الإسلام أو الإلياذة الإسلامية» عام ١٩٦٣م، فنراه يقسِّم ملحمته فصولًا يقدم للفصل بقطعة نثرية يوضح فيها موضوع القصيدة التالية، سواء اتصلت بغزوة، أو بحادثة من حوادث

السيرة الزكية، وهو يفتتحها بقوله:

**املأ الأرض يا محمد نوراً[١]    واغمر الناس حكمة والدهورا**

ثم يتحدث شعراً عن هجرة الرسول ﷺ واستقبال أهل المدينة له، ويعرض للجاهلية ومآثمها ومظالمها، ثم يقص وقائع الرسول ﷺ وغزواته وعن هزيمة المشركين.

وبهذا فمحرم لا يكتب ملحمة كملحمة هوميروس في إلياذته وإنما ينظم سيرة الرسول ﷺ، وفرق كبير بين نظم السير والشعر القصصي، فالأول عمل آلي والثاني فني، فمحرم قرأ التاريخ ثم حوله شعراً ولذلك خرجت ملحمته جافة جفافاً شديداً[٢].

قال عنه الأديب المغربي زكي محمد مجاهد: كان علماً بارزاً ساهم في بناء صرح الشعر الحديث بمصر والبلاد العربية ويعتبر شعره سجلًا زاخراً بشتى ألوان السياسة والاجتماع ومن أقوى الشعراء ديباجة وأنصعهم بياناً.

(توفي سنة ١٣٦٤هـ شهر يونية سنة ١٩٤٥م في دمنهور وأقيمت له حفلة تأبين في شهر يوليو بدار سينما بلدية دمنهور).

**مؤلفاته:**

١- ديوان محرم: جزءان في السياسات وأربعة أجزاء في الرثاء والغزل والوصف وأغراض الشعر الأخرى.

٢- الإلياذة الإسلامية أو ديوان مجد الإسلام.

---

(١) تاريخ الشعر العربي الحديث ص (٩٨).

(٢) راجع مجد الإسلام ص(٣) ط مكتبة دار العروبة.

٣- القصيدة الجامعة في حرب تركيا مع اليونان.

٤- أرجوزة محرم أو قول الراوي في حادثة المنشاوي[١].

**أقوال الأدباء عنه:**

**قال عنه الشاعر والأديب ولي الدين يكن:**

«أحمد محرم في شعره نسيج وحده، وهو أقرب الشعراء المعاصرين ديباجة من شعراء العرب، وما زال يعاني ذلك في أول أمره معاناة حتى صار ملكة في طبعه، وليس في طباع الشعراء طبع أدل من طبعه، وطبع حافظ إبراهيم على جودة الألفاظ، وكما أن خليل مطران فاق النظراء بل فاق كثيراً من القدماء في معانيه، فكذلك أحمد محرم وحافظ فاقا النظراء بل فاقا كثيراً من القدماء في ألفاظهما وتراكيبهما، وأقرب وصف في هذا الباب أن يقال: إن خليلًا أبلغ شعراء زماننا وإن محرماً وحافظاً أفصحهم».

وقال عنه نقولا رزق اللَّه:

**إذا أسهرتك القوافي فقم ... فنبه لها أحمداً ثم نم**

**تجوب قصائده العامرات ... سهول البلاد وتطوى الأكم**

**وقال أحمد الكاشف:**

لقد أصبح ذكر هذا الشاب الجليل متداولًا على ألسن الأدباء، محبوباً لديهم، فما زرت أديباً في العاصمة أو غيرها من المدن العظيمة إلا استشهد لي بأشعاره، فلقد غاص بحور الأدب فأحرز دررها، وقلد جيد

(١) الأعلام الشرقية (٢/٦٦٨).

نشأته بمحاسن جواهرها، فطبق ذكره الآفاق، وعده الجمهور عنوان ارتقاء النشأة المصرية.

وقال عنه بعض الأدباء:

إن شعراء الطبقة الأولى بحسب تقسيمي هم: محمود باشا سامي البارودي، وحافظ إبراهيم، وأحمد محرم.

ونختم هذه الأقوال بما قاله المؤرخ عبد الرحمن الرافعي في كتابه «شعراء الوطنية» عن أحمد محرم:

شاعر ملهم، من شعراء الوطنية والأخلاق، كان أدباء الجيل يضعونه في صف شوقي وحافظ ومطران، وكان شيخ الشعراء إسماعيل صبري، يتغنى بشعر هؤلاء الأربعة ويطيب له التحدث عنهم، وامتاز محرم إلى جانب مكانته الشعرية بحرارة العاطفة، وتذوقه للفن والجمال، وقوة إيمانه، وتأملاته العميقة الفلسفية، واستمساكه طول حياته بمبادئه الوطنية، فكان شعره كله وقفاً على هذه المبادئ، لم ينحرف عنها يوماً في قصيدة أو في أي بيت من الشعر، ظل مقيماً عليها وفياً لها في السراء والضراء، فكان حقاً مثلًا أعلى في الشعر والوطنية، وكان مصطفى كامل يعجب به وبشعره ويشيد به على صفحات (اللواء) ويسميه (نابغة البحيرة) وبقي أحمد محرم على صلته به ووفائه له ولذكراه، كما ظل وفياً لمبادئ الوطنية إلى أن توفاه اللَّه في ١٣ من يونيو سنة ١٩٤٥م[(١)].

---

(١) ديوان مجد الإسلام ص (٢٩).

### قصة قصيدته:

اقترح العالم المحقق محب الدين الخطيب رحمه الله على شاعرنا أحمد محرم أن يكتب في أمجاد أمتنا إلياذة شعرية كما كتب اليونانيون إلياذة هوميروس، وقد قام بترجمتها إلى العربية نثراً ونظماً الأديب عبد اللَّه البستاني.

وقد جاء في صدر خطاب العلامة محب الدين الخطيب: كنت هممت غير مرة أن أكتب إليكم اقتراح مشروع كنا نحاول إقناع شوقي بك رحمه الله به، ولكن خشيت أن يصرفكم ذلك عن معاني الجهاد الأخرى، وهذا المشروع هو إرسال نظركم الكريم بين حين وآخر إلى مفاخر التاريخ الإسلامي الخلقية والعمرانية والسياسية والإصلاحية والحربية، ونظم كل مفخرة منها في قطعة خالدة تنقش في أفئدة الشباب، ثم ترتيبها بحسب تاريخ الوقائع، وتأليف إلياذة إسلامية من مجموعها، أليس من العار أن يكون للفرس ديوان مفاخر الشاهنامه، وأن يكون لليونان ديوان مفاخر كالإلياذة، والإسلام الذي لم تفتح الإنسانية عينها على أعلى منه مرتبة وأعظم منه محامد[١].

فاستجاب محرم لهذا المقترح عبر خمسة عشرة عاماً قدم فيها شاعريته وأشرع يراعه حتى أبدع ديوان مجد الإسلام.

فلما وقف عليه محب الدين الخطيب قال فيه: «إن أحمد محرم لبّى دعوة الإسلام إلى تدوين أمجاده بما وهبه اللَّه من بلاغة تذوقها بأساليب القرآن

(١) آفاق جديدة في الأدب ص(١٧٢).

وجلاها بمعجز البيان».

وقال عن الديوان الأستاذ أنور الجندي رحمه الله: ومن الحق أن يقال: إن العمل الذي قام به أحمد محرم جديراً بالتنويه والاهتمام، ولكن مع الأسف لم يعرف أهل جيله قدره فظل مطوياً حتى بعث بعد موته ببضع عشرة سنة، واكتشف مدى ما في هذا العمل من أصالة وقوة[١].

ويبدو أن بعض الأوساط الأدبية قد سرت باستجابة محرم فبلغته أصداؤها فقال:

**صوت تردد في الآفاق يهتف بي لا سرني هاتف إن لم يجب أدبي**

**قال الوشاة، وفَّى للفرس شاعرهم وما وفَّى شاعر الإسلام والعرب**

**مهلًا فإن لقومي إن هم التمسوا مستودع الود من نفسي لذو حدب**

**لو لم يطعني بياني حين أنصرهم نصرتهم ببيان من دم سرب**

قال الأديب محمد رجب البيومي معقباً على قصيدة محرم عن غزوة بدر: بهذا النسق المطرد الخاطر الدافق العاطفة إنساب محرم يتحدث عن الغزوة، وقد سلسل الوقائع في ثوب جمالي، كما يرسم المصور لوحة بديعة، والشاعر قادر مقتدر لا يعذره معنى أو يقف أمامه مرقى لا يرتقيه، حتى ترامت أبياته إلى مائة واثني عشر بيتاً من رائع الشعر وأعذبه[٢].

وإلى قلائد هذا الديوان النفيس تنتمي قصيدة محرم في حديث الإفك، وقد كانت هذه القصيدة أولى أمثلة الإجادة وشواهد الإبداع في ديوانه

(١) آفاق جديدة في الأدب ص(١٧٢).

(٢) صوت الإسلام الصارخ ص(١٣١).

التي ساقها الأديب محمد رجب البيومي في معرض رده على بعض النقاد الذين زعموا أن ديوان مجد الإسلام ليس أكثر من نظم تاريخي خالي الوفاض من الشاعرية، فقال البيومي:

وسيكون الشاهد الأول ما حاكه محرم عن قصة الأفك الشهيرة، إذ صور مشاهدها المعبرة بأرقى ما يتطلع إلى تصويره شاعر مبدع يلتزم الواقع دون الأسطورة، ثم ساق طرفاً من القصيدة - وهي القصيدة القادمة - وقال:

فَمَاذَا يَرَى الْقَارِئ في هَذَا التَّصْوِيرِ المُلِمِّ بخَوَافي النُّفُوسِ، في إِحْكَامٍ بَارِعٍ لا تَنْقُصُهُ حَلاوَةُ الإيقَاعِ، وَلا بَرَاعَةُ التَّلْوِينِ؟ هَلْ فَاتَ الشَّاعِرَ مَا يُمْكِنُ أَنْ يُقَالَ في رَسْمِ الْخَوَالِجِ، وَتَصْوِيرِ الْهَمَسَاتِ الْخَافِيةِ طَيَّ الشِّغَافِ، لَقَدْ وَاصَلَ حَدِيثَهُ الرَّائِعَ عَمَّا تَلا ذَلِكَ مِنَ المَوَاقِفِ الْمُضْطَرِعَةِ، حِينَ اسْتَأْذَنَتْ رَسُولَ اللَّهِ ، أَنْ تَذْهَبَ إلى بَيْتِ أَبِيهَا فَأَذِنَ، وَمَضَتْ عَلَى حَالٍ أَجَادَ مُحَرَّمٌ وَصْفَهَا[1].

**قصيدة / قصة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها :**

**سيدَ الرسلِ وأمَّ المؤمنين ... بشر الأبطال بالنصر المبين**

**خَرَجَتْ في الجيش ترجو ربَّها ... عصمةَ الراجي وعونَ المستعين**

**ينصرُ الحقَّ ويقضي أمَرهُ ... إن رماه كلُّ أفَّاك مهين**

**اصبري إن جلَّ أمرٌ إنها ... يا ابنة الصّديق دنيا الصالحين**

**أرأيتِ الأرض لما رَجَفَتْ ... إذ هوى عقدُك؟ بل لا تشعرين**

(١) صوت الإسلام الصارخ ص(١٣١).

اقشعرَّتْ، وتمنَّتْ لو هوى ... كلُّ عالٍ من رواسيها مكين

أنتِ في شأنِكِ إذ تبغينه ... وهي في همٍّ وغمٍّ وأنين

سوفَ يُبدي الخطْبُ عن روعتِهِ ... بعد حين، فاصبري حتى يَحِين[1]

رفعوا الهودجَ والظنُّ بها ... أنّها فيه وصاروا مُدْلِجين[2]

وانجلى الليلُ عن الخطب الذي ... غادرَ الإصباحَ مسودَّ الجبين

أين غابتْ؟ أيَّ أرض نزلتْ ... كيف غُمَّ الأمرُ؟ هل من مستبين؟

يا رسول اللَّه صبراً إنها ... في ذِمام اللَّه ربِّ العالمين

يا أبا بكر رويداً، إننا ... لنراها في حمى الروح الأمين

رجعتْ والليلُ في بردته ... دائمُ الإطراقِ كالشيخ الرَّزين

ذهبَ الجيشُ وأمستْ وحدَها ... غيرَ أصداءٍ من الوادي الحزين

خطرتْ في الجو من أنفاسها ... خطراتٌ للأسى ما ينقضين

ماجَ كالبحر طغتْ أثباجه ... وارتمت أهواله حولَ السّفين[3]

نامَ عنها الهمُّ لما رقدتْ ... فهو في الأحشاء مكتوم دفين

وأتى صفوانُ ما يبدو له ... غيرَ شيء ماثلٍ للناظرين

يرسلُ الطرفَ ويمشي نحوَها ... مِشْيَةَ المرتاب في رفق ولين

عرفَ الخطبَ فما أصْدَقَهُ ... حين يدعو دعوة المسترجعين

---

(١) يحين: يأتي.

(٢) الإدلاج: السير ليلًا.

(٣) أثباجه: أمواجه العالية.

دعوةٌ رنَّتْ فلو قيل: اسمعوا لسمعنا اليوم تردادَ الرنين
أيقظتْ عائشةً من نومها مثلما يوقظها صوت الأذين[١]
جفلتْ منه فغطَّتْ وجهَها وهْيَ في سِتْرَيْنِ من عقل ودين
يصرفُ اللحظَ كليلًا دونها خاشعَ القلبِ كدأبِ المتَّقين[٢]
قرَّبَ الناقةَ منها ودعا اركبي أماه مُلِّيتِ البنين
أخَذَ المِقْوَدَ يمناً ومضى يتبع الماضين من أهل اليمين[٣]
ينتحي يثربَ بالنّور الذي يملأُ الدنيا ويُعْي المطفئين
نشروا الإفكَ فساداً وأذى وعلى اللَّه جزاءُ المفسدين
لا ينالُ الحقَّ في سلطانِهِ كذبُ الحمقى وإفكُ المرجِفين[٤]
يا لها من عُصْبَةٍ فاسقةٍ هاجَها للشر شيخُ الفاسقين
وَجَدَتْ فيه زعيماً حاذقاً وإماماً بارعاً للمفترين
هكذا يا ابن أُبَيٍّ هكذا لا يكنْ شأنُك شأنَ المسلمين
انفث السمَّ وخضها فتنةً تتلظى نارُها للخائضين
يا ابنة الصديق صبراً ليته ألم المرضى وهمُّ الموجعين
يا لها من علَّةٍ لو تعلمين إنها أبرحُ مما تشتكين

(١) الأذين: أي كما يوقظها صوت الأذان.
(٢) كليلًا: مريضًا، قصد أنه قد علاه الكرب.
(٣) المقود: أي خطام الناقة.
(٤) المرجفين: المشككين.

أعـقـبَ الـبـشـرَ عـبـوسٌ وبـدا ... مـن رسـول اللَّه مـالا تـرتـضـيـن
(كيف تِيكُم) ليس من عادته ... (كيف تيكُم)؟ يا لهم من مجرمين
غَـيَّـروُهُ فـلوى مـن عِـطِـفـه ... وطـوى مـن لُطْفِهِ ما تـعـهـدِيـن
وهو يُخْفي لكِ مالا ينقضي ... من هوىً صافٍ وشوقٍ وحنين
سَجَنَ السرَّ وكم من روعة ... لكِ يا أماه في السر السجين
أنصتي فالليل مضغ أنصتي ... وقعَ الخطبُ فماذا تصنعين؟
جاشتِ النفسُ ولجت رعدة ... لم تدعْ في القلب من ركن ركين[1]

وجاء في القصيدة أيضاً:

رجعتْ في غمرةٍ من همِّها ... لـم تَبِتْ منها بليل الراقدين
لـوعـةٌ مـشـبـوبـةٌ فـي سـقـم ... في شآبيب من الدمع السخين[2]
يـا رسـول اللَّه هـل تـأذنُ لـي؟ ... إن بـيـتـي بـمـصـابـي لـقَـمـيـن[3]
مُـرْ وَدَعْ هـمِّـي لأُمـي وأبـي ... إنـمـا اسـتـأذنـتُ خـيـر الأمـريـن
بانَ حسنُ الصبر والعزمُ انطوى ... وأرى السُّقْمَ مقيماً ما يبين[4]
قال: ما شئتِ، هلمي فافعلي ... لـك يـا صـاحـبـتـي مـا تـؤثـريـن
ذهبتْ، يُحْزِنُها أن لم تكن ... طَوَّحَ الدهر بها في الذاهبين[5]

(١) لجت: أي ترددت عليها الرعده ولزمتها.
(٢) شآبيب: أي دفعات الدمع.
(٣) قمين: أي خليق وجدير.
(٤) يبين: يبعد.
(٥) طوّح: أي ذهب ورمى بها بعيداً.

ثم قالت: وهي تبكي: عجباً ويحهم: ما حيلتي في الزاعمين؟
ظلموني، ما رعوا لي حرمةً ربِّ كنْ لي - ما أقلَّ المنْصِفين
جَزَعَ الصِّديقُ مما نابَهُ إنه خطب يَهُولُ الأكرمين
قال: أفٍّ لكِ من داهيةٍ ما رُمينا بكِ في ماضي السنين
أفلما زانَنا دينُ الهدى ساءنا منكِ حديثٌ لا يَزين؟
كيف تيكم؟ يا لها صاعقةٌ أُرسِلَتْ من فم خير المرسلين
كيف تيكم؟ كيف تيكم كلما جاء إن اللَّه مولى الصابرين
اصبري يا ربَّة العقد الذي زين من عينيك بالدر الثمين

وجاء في القصيدة أيضاً:

التقى والبرّ في تاجَيْهِما هل رأى التاجَيْن أعلى المالكين؟
مرحباً بالحق يحمي جندَهُ ما استباحتْ ترهّات المبطلين
مرحباً بالوحي، يجلو ما طَوَتْ ظلمات الشر من نور اليقين
مرحباً بالروح يلقي من عل رحمة اللَّه تغيث المؤمنين
فتنةٌ جلَّتْ، فلما انكشف أزلفوا الشكر وراحوا راشدين
وتجلت غمرة الهادي فلا ريبةٌ تغشى، ولا ظن يرين
يا ابنة الصديق طيبي وانعمي ذاك حكم اللَّه خير الحاكمين
ضرب القوم بماض مخذم من مواضيه فولوا مدبرين
سقطوا صرعى عليهم غبرةٌ من قتام البغي تخزي الظالمين

أمسك الصديق من معروفه ... ينكر الغدر وينهي الغادرين
وطوى عن مسطح نعمته ... ليرى حق الكرام المنعمين
عالَهُ دهراً، فلما خانه ... راح يجزيه جزاء الخائنين
سنة العدل قضاها من قضى ... سنة الرحمة بين الراحمين
نزلَ الذكرُ بها قدسية ... فعفا الناقم وارتاح الضئين
اجعل الخير قريناً إن أبى ... كل غاو إنه نعم القرين
جل ربي وعلا كل امرئ ... بالذي يكسب من أمر رهين[1]

* * *

(١) ديوان مجد الإسلام ص(٢٠٠).

## القصيدة السابعة: من قصيدة نظام البـردة

**للشاعر/ علي أحمد باكثير**

**١٣٢٨ هـ - ١٣٨٩ هـ ١٩١٠م - ١٩٦٩م**

**حياته العلمية:**

* ولد عام ١٩١٠م.
* عندما قاربت سنه الثامنة أرسله أبوه إلى موطنه الأصلي حضرموت ليتلقى تعليمه فيها على أيدي مؤدبين عرب يلقنونه حب العربية ويسقونه عشق الإسلام.
* وفي بلدة سيووت أقبل على دراسة اللغة العربية حتى برع فيها وامتزج حبها بدمه.
* رحل طالباً للعلم إلى عدن، ثم إلى الصومال والحبشة، ثم إلى الحجاز حيث مكث فيها أكثر من عام قضاه متنقلًا بين مكة والمدينة والطائف.
* شدّ الرحال إلى مصر عام ١٩٣٤م عازماً على دراسة اللغة العربية والدين الإسلامي في الأزهر الشريف، لكنه غير رأيه بعد وصوله فدخل كلية الآداب بجامعة فؤاد الأول دارساً في قسم اللغة الإنجليزية فيها، وتخرج فيها عام ١٩٣٩م.
* ثم درس في كلية المعلمين وحصل على دبلوم في التربية عام ١٩٤٠م.

**حياته العملية:**

* عمل مدرساً للغة الإنجليزية في المدارس الثانوية المصرية، واستمر في

هذه المهنة حتى عام ١٩٥٥م.

* بدأ ينشر إنتاجه الشعري في جريدة الفتح المصرية، وفي المطبعة السلفية طبع مسرحيته التي ألفها عندما كان في الطائف وذلك سنة ١٣٥٣هـ.
* نشر إنتاجه في مجلات عربية كثيرة من أهمها مجلة التهذيب في حضرموت وكان شاعرنا لفترة أحد محرريها، ومجلات وصحف الوادي والمعرفة والفتح والرسالة والثقافة والأسبوع وأبوللو والرسالة الجديدة.
* عضو لجنة الشعر ولجنة القصة بالمجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية.
* عندما صدر قانون التفرغ الأدبي كان باكثير أول من حصل على منحه للتفرغ مدتها عامان كتب خلالها سيرة الخليفة الثاني عمر بن الخطاب رضي الله عنه بمسرحية من تسعة عشر جزءاً أسماها «ملحمة عمر».
* عضو في وفد أدباء مصر إلى الاتحاد السوفيتي عام ١٩٥٦م.
* مثل الجمهورية العربية المتحدة في مؤتمر كتاب آسيا وأفريقيا الأول الذي عقد في طشقند عام ١٩٥٨م.
* وبقي أحد موظفي وزارة الإرشاد القومي إلى أن توفاه اللَّه في العاشر من تشرين الثاني سنة ١٩٦٩م.

**إنتاجه الأدبي:**

* (هُمام في بلاد الأحقاف)، (مسرحية شعرية)، كتبها عام ١٩٣٣م، صدرت طبعتها الأولى في القاهرة عام ١٣٥٣هـ - ١٩٣٤م.
* ملحمة عُمر، «مسرحية من تسعة عشر جزءاً».
* نظام البردة (ذكرى محمد صلى الله عليه وآله وسلم )، (قصيدة) بلغت أبياتها مائتين وخمسين بيتاً، صدرت طبعتها الأولى في القاهرة عام ١٩٣٤م.

* شيلوك الجديد (مسرحية)، كتبها عام ١٩٤٤م.
* شعب اللَّه المختار، (مسرحية) كتبها عام ١٩٤٦م.
* إله إسرائيل، (مسرحية).
* التوراة الضائعة، (مسرحية)، كتبها عام ١٩٦٩م.
* اخناتون ونفرتيتي، (مسرحية)، كتبها عام ١٩٣٨م، وصدرت طبعتها الأولى عام ١٣٥٩هـ - ١٩٤٠م.
* روميو وجولييت، (ترجمة) ترجمها عام ١٩٣٧م، وطبعت آخر مرة في مكتبة مصر سنة ١٩٧٨م.
* قصر الهودج، أخرجت آخر طبعاتها في مصر سنة ١٩٧٨م.
* الشيماء شادية الإسلام، (مسرحية) ضمن فيها مجموعة من الأناشيد الإسلامية على لسان الشيماء ابنة حليمة السعدية وأخت الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ من الرضاع، وقد طبعت في مصر عام ١٩٧٩م.
* فن المسرحية من خلال تجاربي الشخصية.
* أزهار الربى في شعر الصبا، (ديوان شعر) صدرت طبعته الأولى في بيروت عام ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٧م[١].

في سن مبكرة كتب باكثير مطولته نظام البردة أو ذكرى محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، والتي عارض بها بردة البوصيري، لكن باكثير أبدع في قصيدته حين تخلص من التكلف الذي كلف به معارضو البوصيري، يقول باكثير في مطلعها:

**يا نجمة الأمل المغشيِّ بالألم ... كوني دليلي في محلولك الظلم**

وقد قرأت كثيراً من القصائد المعارضة للبردة فلم أجدها تعرضت لحديث

(١) معجم الأدباء الإسلاميين المعاصرين(٢/ ٨٧٨).

الإفك إلا كحادث تاريخي في السيرة النبوية، لكن الذي لفت انتباهي في قصيدة باكثير هو اهتمامه البارز بها، كما أنه أضاف إضافة رائعة في سياق الدفاع ليس فقط عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، بل عن الرسول ﷺ وشريعة الإسلام، حينما عرض لمعاناة الرسول ﷺ من كلام المنافقين والمرجفين في عرضه الشريف، وهو ينتظر نزول الوحي لمدة شهر كامل، فلو كان القرآن الكريم من عنده لما أخره كل هذا الوقت، تأمل في قوله:

**لو كان من قلبه هذا الكتاب لما ... قضى زماناً طويلًا وهو في غُمم**

**القصيدة**

مقطع عن حديث الإفك من قصيدة نظام البردة للشاعر علي أحمد باكثير.

يقول في مطلعها:

**يا نجمة الأمل المغْشِيّ بالألمِ ... كوني دليليَ في مُحلَوْلِكِ الظُّلَمِ**

**في ليلة من ليالي القر حالكة ... صخّابَةٍ بصدى الأرياحِ والدِّيَمِ**

إلى أن تخلص بعد قرابة الأربعين بيتاً إلى مدح النبي ﷺ:

**حتى إذا وجدتْ عيناكَ نفسكَ في ... ربوع طيبةَ ذات المنهل الشبم**

**فيمم المسجدَ الميمونَ في أدب ... بقلب مدّكر في ثغر مبتسم**

**واعمدْ إلى الروضة الغنا فحيِّ بها ... خير الخلائق من عرب ومن عجم**

**قلِ السلامُ على فخر الوجود على ... خير النبيين طه المفرد العلم**

**واستجلِ سيرتَهُ قدّامَ روضتِهِ ... تر الكمال بلا زيغ ولا وهم**

وفي البيت الثاني والتسعين بعد المائة شرع في الحديث عن حديث الإفك وهو موقف حاسم من سيرته الطاهرة استجلاه الشاعر ببراعة ووجدانية يقول فيه:

**و(محنةُ الإفك) برهانٌ يدل على ... صدق النبي، وينفى سائر التهمِ**

**للَّه فيها - وطه في تَبَلْبُلِهِ ... من هولِها - حكمةٌ تسمو على الفَهَمِ**

**لو كان من قلبه هذا الكتابُ لما ... قضى زماناً طويلًا وهو في غُمَمِ!**

**يعذبُ الشكُّ قلباً منه ممتلئاً ... بالحب والطهر مغياراً على الحَرَمِ**

**فلا يَبُتُّ بأمرٍ فيه وهو على ... مثل الأسنَّة لم يُبرئْ ولم يُصِمِ**

**والمسلمون بحالٍ لا شبيهَ لها ... من التحير والإشفاق والألمِ**

**حتى أتى الوحيُ بالآيات معلنةً ... براءةَ الطهر ذاتِ القدس والعصمِ**

**زوجِ النبي، ابنةِ الصديق صاحبه ... خير الورى بعد خير الخلق كلهِمِ**

**فأشرقت أوجه الأصحاب من فرح ... وجللت أوجه الأعداء بالسَّخَمِ[١]**

**(منافقون) يراءون النبيَّ ولا ... يألون يَمنُونه بالسّم في الدسمِ[٢]**

**يدري النبي بهم والمسلمون، ولا ... يقضى عليهم وهم أعدى عدوِّهم**

**أن لا يقالَ: ابنُ عبد اللَّه يقتل في ... أصحابه (وهو أوفى الخلق بالذمم)**

**ولو أراد لأفناهم بما اجْتَرَحُوا ... فهم أذلُّ من الجُعْلان والحَلَمِ[٣]**

(١) جللت: غطيت. السخم: السواد.

(٢) يمنونه بالسم في الدسم: يدسونه فيه له.

(٣) الحلم: جمع حلمة، دويبة معروفة تأكل الجلد.

أبعد هذا يُماري في نبوته إلا أصمُّ عن الحق المنير عَمِى؟!

روح من اللَّه أوحاه إلى رجل لا كالرجال بغير الفضل لم يَهِمِ[1]

ما كان مشتهراً بالشعر، مفتخراً باللَّسْنِ مثلَ بني آبائه اللُّزُمِ[2]

ولم يكن مَلَكاً، لكنه بشرٌ فاق الملائك بالأخلاق والعِظَمِ![3]

❊ ❊ ❊

(١) لم يهم: لم يولع.
(٢) اللزم: أرباب الفصل في القضايا.
(٣) نظام البردة.

## القصيدة الثامنة: (قصيدة/ حديث الإفك)

**للشاعر / عزيز أباظة**

**(١٨٩٩ . ١٩٧٣م)**

*ترجمته:*

الأستاذ محمد عزيز أباظة أحد الشعراء الذين وقفوا طول حياتهم مدافعين عن مدرسة الشعر العربي الأصيل، والمحافظة على عمود الشعر، ليس بمقالاته ومحاضراته فحسب، بل كذلك بأعماله الفنية المتعددة، سواء في الشعر الغنائي أو الشعر المسرحي. وهو فوق ذلك كله ذو دراية واسعة بأسرار اللغة العربية، حتى إن القارئ ليلحظ ذلك في قصائده الطوال في دواوين شعره حين تضع (القافية) معرفة الشاعر بمفردات اللغة وأسرارها موضع الاختيار، وقد خاضها عزيز أباظة بنجاح.

ولد بالربعماية مركز مينا القمح بمحافظة الشرقية في سنة ١٨٨٩م، وتلقى تعليمه الابتدائي بالمدرسة الناصرية، والثانوي بمدرستي التوفيقية والسعدية، وبعد أن نال شهادة الدراسة الثانوية سنة ١٩١٨م التحق بمدرسة الحقوق وتخرج فيها سنة ١٩٢٣م وعمل بعدها محامياً ثم عضواً بالنيابة العامة، ثم عضواً في مجلس النواب.

وفي سنة ١٩٣٣م عمل بوزارة الداخلية مديراً لتحقيق الشخصية، ووكيلًا لمديرية البحيرة سنة ١٩٣٥م، فوكيلًا لمديرية الجيزة، وفي سنة ١٩٤١م عين مديراً للقليوبية فالفيوم فالمنيا ثم محافظاً وحاكماً عسكرياً لمنطقة القناة سنة

١٩٤١م، ثم مديراً للجيزة، ثم أسيوط، وفي سنة ١٩٤٧م اختير عضواً بمجلس الشيوخ، وعمل بعد ذلك في الميدان الاقتصادي[(١)].

ظهر ديوانه «أنات حائرة» فجأة في عالم الشعر العربي عام ١٩٤٣م، إذ لم يكن معروفاً قبل إصدار ديوانه الذي أصدره إثر فجيعته في زوجته التي كان هذا الديوان رثاء لها، ولم يلبث الشاعر أن انتحى منحى «المسرحية الشعرية» وقدم منها ثماني مسرحيات الأولى «قيس ولبنى»، ثم «العباسة»، و«الناصر»، و«شجرة الدر»، و«غروب الأندلس»، و«شهريار»، و«قافلة النور»، و«أوراق الخريف»، وله مسرحية شعرية باسم «زهرة»، وجميعها مسرحيات تاريخية نهج فيها نهج شوقي.

كان غيوراً على الفصحى يعلو في شعره عن المستوى العام للقراء، دعى في مسرحياته إلى وحدة العرب معتمداً في ذلك على وحدة الدم والدين والوجدان والدفاع عن الإسلام.

دأب خلال عشرين سنة على رعاية نبتة القصة الشعرية التي وضع شوقي غراسها فزكت على يديه وازدهرت أي ازدهار، وتهيأت لمسايرة الركب العالمي للأدب الإنساني. وأعان بذلك على سدِّ ثغرة كانت ملحوظة في أدبنا العربي، وبذل جهوداً تعد مرحلة انتقالية وخطوة ضرورية.

عزيز أباظة من شعراء التقليد يعنى باللفظ الجزل والعبارة الفخمة، قال يصف فقده لزوجته:

**فقدتُها خلةً للنفس كافية ... تكاد تغني غناء الماء والزاد**

(١) ديوان الخالدين ص(٨٣).

**يا أخت ذي الرونق الموشي من عمري وعدل نفسي في الدنيا وأولادي**
**قد ذقت بعدك يتماً حز في كبدي وذاقَهُ في ربيع السنّ أكبادي[١]**

**من أعماله الشعرية:**

١- «أنات حائرة» صدرت سنة ١٩٤٣م، وقد خصصه كله لرثاء زوجته.

٢- قيس ولبنى: مسرحية.

٣- العباسة: مسرحية.

٤- الناصر: مسرحية.

٥- شجرة الدر: مسرحية.

٦- غروب الأندلس : مسرحية.

٧- شهريار: مسرحية.

٨- أوراق الخريف: مسرحية.

٩- قافلة النور: مسرحية.

١٠- قيصر: مسرحية.

ولقد كان الأستاذ عزيز أباظة عضواً في أكثر من هيئة، فكان عضواً بالمجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية، وعضواً مراسلًا بالمجمع العلمي العراقي، وأخيراً عضواً بمجمع اللغة العربية سنة ١٩٥٩م.

(١) تاريخ الشعر العربي الحديث ص(٣٨٢).

قال عنه الأستاذ عباس محمود العقاد في حفل الاستقبال الذي أقامه له المجمع:

«إن اللغوي العالم عزيز أباظة لقي الرحب والسعة من مجمع اللغة العربية، رشحته له أعماله الفصاح، ولم يرشحه له صاحب الأعمال، كأنما شاء أن يصدقني قبل عشرين سنة إذ كنت أقول ما أعيده الآن: إنه اهتم بالقدرة ولم يهتم بالتقدير، فلم يعرف الراصدون هذا الكوكب إلا وهو في برجه الأسمى، قد جاوز جانبي الأفق وأصعد في سمت السماء»(١).

وقصيدته التالية من ديوانه «من إشراقات السيرة الزكية» وهو عبارة عن قصائد حول الأحداث الكبرى من حياة المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم، يتضح من قصائده رحمه الله أنه لم يقصد مجرد النظم التاريخي كما غلب على تغريده عايش عبيد، وإنما قصد إيراد السيرة النبوية بتعبير وجداني نطقت فيه الشاعرية وتجلى فيه الإبداع فانصهرت فيه شخصية الشاعر.

قصيدة: حديث الإفك

يا عقدَ أُمِّ المؤمنين ... أشعلتَ حقدَ الحاقدين

وخلقتَ للمتخرِّصين ... مزاعما والكاذبين

قالوا وقالوا ويلهم ... من آثمين منافقين

قالوا فراشُ محمد ... طارتْ حواليْهِ الظُّنون

فإذا خَلَوْا لصحابهم ... قالوا هو الخبرُ اليقين

---

(١) ديوان الخالدين ص(٨٤).

وسرى الحديث بيثرب … من كارهين لوامقين[١]

همساً تناقل ثم أمسى … عرضة للسامرين

بَلَغَ النبيَّ حديثُهُمْ … فَأَمَضَّهُ الألمُ الدّفين[٢]

في أهله آذَوْهُ بل … في حُبِّه الصافي المكين

وتناوحته حيرة … فإذا به لا يستبين[٣]

أمكذبٌ؟ والضعف قد … يطوي النساءَ فينطَوِين

أمصدقٌ؟ لا بل نعم … واللَّهُ خلّافُ الظُّنون[٤]

حتى إذا ضاقتْ به الد … نيا وثارَ به الحنين

أفضى لها مترفقا … قال اصدقي لا تكذبين

إن جِئْتِها[٥] فاستغفري … واللَّهُ خير الغافرين

فتقاطرتْ منها الدموعُ … يسِلْنَ كالغيث الهَتُون

وتجيب: إني بالذي … فطر الخليقةَ أستعين

أسلمتُ أمري وامتثل … تُ له وأمرَ الظالمين

يا عائش اعتزي بفضـ … لك واطرحي عنك الشُّجون

لا تقنطي برهانُ ربـ … ك بالغ لك بعد حين

(١) وامقين: محبين.
(٢) أمضه: آلمه وأوجعه.
(٣) تناوحته: أي أحاطت به.
(٤) تم حذف البيتين التاليين لهذا البيت لبعد دلالة أحدهما على المقصود، وتعلق الثاني به.
(٥) أي إن جئت الخطيئة.

إن كنت غضبى من تَغَا ضِيهِ فقد كان الطَّعِين[١]
قومي إليه فخفِّفي ما ضَمَّ من بث جنين[٢]
يكفيكِ أن اللَّهَ قد برَّاك في الذكرِ المبين
فضلٌ خُصِصْتِ به ومر يمُ[٣] من نساءِ العالمين[٤]

❊ ❊ ❊

(١) المطعون المتألم.
(٢) الجنين المستخفى.
(٣) مريم ابنة عمران أم المسيح.
(٤) ديوان من إشراقات السيرة الزكية ص(٥٤).

## القصيدة التاسعة: (البريئـــــة)

**للشاعرة/ عفيفة الحصني**

(١٣٣٧؟ - . . . . . . هـ/ ١٩١٨ - ٢٠٠٣م)

*ترجمتها:*

عفيفة بنت محمد أمين الحصني. شاعرة كاتبة. ولدت في دمشق سورية، وتابعت دراستها في المراحل الابتدائية والإعدادية والثانوية في مدينة دمشق. فحصلت على شهادة البكالوريا الأولى بفرعيها الأدبي والعلمي عام ١٩٣٧م، والبكالوريا الثانية فرع الفلسفة عام ١٩٣٨، وحصلت على دبلوم معهد التربية (قسم اللغة العربية) بالقاهرة عام ١٩٤١م، وقد أصبح هذا المعهد في تلك السنة كلية البنات في جامعة عين شمس، عملت مدرسة للغة العربية في مدارس دمشق الثانوية، ثم مديرة لمدرسة إعدادية، ثم لمدرسة ثانوية، ثم أعيرت في عهد الوحدة إلى وزارة التربية المركزية بالقاهرة. ثم عادت إلى دمشق فاشتغلت بالتدريس ثانية، إلى أن تقاعدت.

عضو في اتحاد الكتاب العرب، نظمت الشعر منذ نعومة أظفارها وفي عام ١٩٤٦ ألفت أول قصيدة، وألقتها على طالباتها في مدرسة تجهيز البنات بدمشق بمناسبة عيد الجلاء، ونظمت بعد ذلك قصائد كثيرة في الطبيعة والمجتمع والوظيفة والقومية والإنسانية، وبخاصة الوحدة العربية، ولحنت عدة مقطوعات من شعرها غنتها طالبات المدارس بدمشق والقاهرة، وأذيع أحدها بإذاعة لبنان وهو نشيد «نعم» ١٩٦٨ نقلًا عن إذاعة القاهرة.

شاركت في الحياة الثقافية والأدبية بشكل فعال في القاهرة ودمشق، فألقت المحاضرات والقصائد الشعرية، وقد نشر إنتاجها في مجلات القاهرة وصحفها مثل مجلة «الرسالة» و«الثقافة» ومجلة «صوت الشرق» وجريدة الجمهورية، وأذيع بعضها في إذاعة القاهرة بالبرنامج الثاني وإذاعة فلسطين، من دواوينها الشعرية: «وفاء» ط ١٩٦٦ و« شهيد التضحيات» ط ١٩٧٠ و «ولاء» ط١٩٧١ و« عازفة القيثارة» ط ١٩٧٩ و« سرب البحر» ط ١٩٨٩، ومن مؤلفاتها: «القراءة الموحدة» - بالاشتراك، و«مشروع النشاط المدرسي»- بالاشتراك، و«الاطلاع الخارجي لمادة اللغة العربية» - بالاشتراك، و«المرأة في شعر أبي العلاء»، و«مرايا ونساء»، كتب عنها: مي غريب، ونزار بهاء الدين الزين، ووصال سمير، وحسان عزت، ومروان المصري[١] .

وتوفيت رحمها اللَّه في ١٢/٩/٢٠٠٣م.

أسمت قصيدتها التي تحدثت فيها عن حديث الإفك (البريئة)، وقد استعرضت جميع القصائد التي قيلت في هذا الشأن فوجدت قصيدتها قد تفوقت عليها جميعاً، فقد استشعرت بفطرة المرأة معاناة عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، وببراعتها الشعرية استطاعت أن تجسد هذه المعاناة وتصف أدق الأحاسيس، قال الشاعر محمود غنيم حول شاعريتها في هذه القصيدة:

«وتتمتع الشاعرة بمقدرة على توليد المعاني، وعلى إدارة الحوار الشعري، وعلى صياغتها للشعر القصصي، في أسلوبٍ سمح لا تكلُّف فيه ولا افتعال، كما يتجلى ذلك في قصيدة عائشة أم المؤمنين».

---

(١) معجم الشعراء(٣/ ٣٩٣).

وعلى ذكر القصيدة لا يسعنا إلا أن ننوه بمقدرة الشاعرة وحسن تناولها لموضوع الإفك، والتعبير عن أحاسيس عائشة أم المؤمنين تجاه هذه الفرية التاريخية التي تتعلق بأقدس شيء تحرص عليه المرأة، تلك الأحاسيس التي لا يجيد الإفصاح عنها إلا أنثى في مثل شبوب وجدان الشاعرة، عفيفة الحصني وإرهاف مشاعرها[١] .

وفي إطار النقد الفني قال الشاعر غنيم عن شعرها:

«وشعر الشاعرة عفيفة الحصني كله من الشعر العمودي الأصيل، لم يهجنه إخلال بقافية أو خروج عن وزن، ولا يقدح في أصالته ما قد تجده من هنوات عروضية لا يضيق عنها باب التسامح، أو تنبو عن إساغتها الأذواق».

**من شعرها:**

**قولها من قصيدة الحرية في ديوانها (وفـاء):**

**تـنشـدُ الأطـيـارُ فـي أجـوائـهـا ... نـغـمـاً يـحـيـى نـفـوسـاً تـطـربُ**

**وتـعـاف الـذل فـي أقـفـاصـهـا ... وتـبـاكـي حـظـهـا إذ تـنـدب**

**هـكـذا شـأن الأمـانـي حـرةً ... يـفـتـديـهـا كـل شـهـم يـغـضـب**

***قصيدة: البريئة (عائشة أم المؤمنين)***

**وليلٍ ضريرِ النَّجم أمستْ تبثُّهُ ... حديثَ الهوى القدسيِّ والحبِّ والسحرِ**

**ضـحـيـةُ أفـاك تـنـاول عـشَّـهـا ... بتهمةِ إغواءٍ أحرَّ من الجمر**

(١) ديوان وفاء ص(٨).

تبيتُ على شوك يقضُّ فراشَها وتشكو تباريحاً أحرَّ من الجمر
ويرقئُ في العين السخيّةِ دمعَها لهيبُ الهوى تصلاه من لوعةِ الهجر
إلى الأم لاذتْ تستجيرُ بعطفها فلم تُفْتِها الأمُّ الحنونُ ولم تدر
وردَّتْ عليها بالدموع وبالأسى وآهات صدر ضاق بالإفك والشر
عليكِ بصديق الرسول لعلَّه يجيء ببرهانِ البراءة للخدر
فمدت يداً تستهلفُ العونَ والحمى لوالدها الحاني عليها بلا فخر
وصاحت به والحبُّ يعصِرُ قلبَها ويفري سويداءَ الكرامةِ والكبر
أيا أبت ارحمني وأخبر محمداً بما كنتَ تدري من تقايَ ومن طهري
ولا تترك العذّالَ يسرون بالهوى فأنت بما ألقاهُ منهم على خُبْرِ
فقال أبو بكرٍ لفلذة كبده وكيف أرد الخطبَ عنكِ بلا عذر؟
وماذا أراني - لو دعاني محمدٌ- أقدِّمُ من آيِ الدِّفاع عن الوزرِ؟
وحار حبيبُ اللَّه بالإفك سارياً وما لاكه الأقوام من قصة الغدر
وقال: إذا أذنبتِ فاللَّهُ غافرٌ فتوبي إليه يا حميراءُ بالسر
ولا تقنطي من رحمةِ اللَّهِ إنه رءوفٌ يقيلُ العبدَ من وصْمَةِ العَثْرِ
فعادت إلى الرحمن تفتح قلبَها وتفضي بما ينتابُهُ من أذى الدهر
وتهتفُ، يا رباهُ إني بريئةٌ وأنتَ عليمٌ بالسرائرِ والجهر
إليكَ شكاتي من ظلاماتِ قومِنا فكن ناصري يا رب من قسوة الجور
جفانيَ أحبابي وصحبي وعشرتي فهل ترتضي بالهمسِ منهم وبالمكر؟
ومن كنتُ بالأمس القريب له يداً وعوناً على جورِ الزمانِ بلا أجر

فَهِمْتُ على وجهي وخارت عزيمتي ... وسُدَّتْ أمامي السبلُ طُراً بلا ثغرِ
وقال لها والحبُّ يعمُرُ قلبَهُ ... ويُبدي حناناً كالرياحين والزهر
بَرِئْتِ فقومي يا حميراءُ واعزفي ... لهادي الورى أغرودةَ الحبِّ والبِشر
فقالت، بل اللَّهَ الكريمَ بلطْفِهِ ... أخصُّ بأفراحي وأُخلص بالشكر
أطعتُ إلهي فاستجاب لدعَوتي ... وصنْتُ عفافي واستعذت من الشر[1]

* * *

(١) ديوان وفاء ص(١٢٩).

## القصيدة العاشرة: ( الذين جاؤوا بالإفك )

**للشاعر/ د. محمد رجب البيومي**

*ترجمته:*

ولد الدكتور محمد رجب البيومي في أكتوبر سنة ١٩٢٣، بقرية «الكفر الجديدة» مركز المنزلة محافظة الدقهلية، تلقى تعليمه الابتدائي والثانوي بمعهد الزقازيق الديني ثم انتقل إلى القاهرة طالباً بكلية اللغة العربية، وحصل منها على درجة الليسانس سنة ١٩٤٩م، ثم واصل دراسته العليا، حتى حصل على الدكتوراه من كلية اللغة العربية بمرتبة الشرف الأولى.

عمل مدرساً ثم أستاذاً، فعميداً لكلية اللغة العربية بالمنصورة، وكان مقرراً للجنة البلاغة، وعضواً بلجنة الأدب والنقد لترقية الأساتذة بجامعة الأزهر.

كما عمل أستاذاً بالجامعات العربية عدة سنوات، واشترك في مؤتمرات علمية في عواصم مختلفة بالدول العربية، وأشرف على كثير من الرسائل الجامعية وشارك في مناقشة كثير منها، ويعمل الآن رئيساً لتحرير مجلة الأزهر وعضواً بمجمع البحوث الإسلامية.

*جوائزه الأدبية :*

وقد نال الأستاذ الدكتور محمد رجب البيومي جوائز أدبية عديدة منها:

* جائزة وزارة التربية والتعليم سنة ١٩٥٨م، عن المسرحية الشعرية (ملك غسان).

* جائزة شوقي بالمجلس الأعلى للفنون والآداب بمصر سنة ١٩٦١م، عن المسرحية الشعرية (انتصار).
* الجائزة الأولى بمجمع اللغة العربية بالقاهرة، عن المسرحية الشعرية (فوق الأبوة) سنة ١٩٦٢م.
* جائزة مجمع اللغة العربية بالقاهرة سنة ١٩٦٣م، عن ديوانه الشعري (صدى الأيام).
* الجائزة الأولى بمجمع اللغة العربية بالقاهرة سنة ١٩٦٤م، في الدراسات الأدبية عن كتابه (الأدب الأندلسي بين التأثر والتأثير).
* جائزة مجمع اللغة العربية بالقاهرة سنة ١٩٦٥م، في التراجم الأدبية عن حياة (محمد توفيق البكري).
* جائزة مجمع اللغة العربية بالقاهرة سنة ١٩٧٢م، عن المسرحية الشعرية (بأي ذنب).

**كتاباته:**

الدكتور محمد رجب البيومي كاتب سخي العطاء أثرى المكتبة العربية بمؤلفات شتى في مجالات متنوعة... ففي الدراسات القرآنية له: (البيان القرآني)، و (خطوات التفسير البياني) أصدرهما مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، و (التفسير القرآني) أصدرته المؤسسة العربية الحديثة.

وفي مجال السيرة والسنة ألف (البيان النبوي) أصدرته دار الوفاء للنشر وهو رسالته للدكتوراه، و(في ظلال السيرة النبوية) أصدرته المؤسسة العربية الحديثة، و(السيرة النبوية عند الرواد المعاصرين مناقشات وردود) أصدرته الأمانة العامة للجنة العليا للدعوة الإسلامية بالأزهر.

أما التاريخ الإسلامي فقد حظي بجهد كبير من الدكتور البيومي، إذ أصدر عدداً كبيراً من المؤلفات التاريخية منها: «صفحات هادفة من التاريخ الإسلامي»، و «من شرفات التاريخ»، و «من القصص الإسلامي» «جزءان» المؤسسة العربية الحديثة، و«الأزهر بين السياسة وحرية الفكر» دار الهلال ثم أصدره مجمع البحوث الإسلامية.

وللدكتور محمد رجب البيومي عناية كبيرة بأعلام الإسلام وعلمائه، فكشف عن جهودهم العلمية، وجهادهم ضد الباطل وتصديهم لأراجيف المرجفين وذلك في مؤلفاته «علماء في وجه الطغيان - مع الأبطال - ابن حنبل» عن مجمع البحوث بالأزهر، «مصطفى صادق الرافعي فارس القلم تحت راية القرآن»، «محمد متولي الشعراوي جولة في فكره الموسوعي الفسيح»، «أحمد أمين»، «محمد فريد وجدي»، «هارون الرشيد»، «أحمد حسن الزيات بين البلاغة والنقد» أصدرته دار الأصالة بالرياض.

«أعلام العصر، كيف عرفت هؤلاء» أصدرته الدار المصرية اللبنانية، ثم إن له من وراء ذلك كتاباً جامعاً هو «النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين» «٥ أجزاء»، دار القلم بيروت.

والدكتور محمد رجب البيومي رائد في الدراسات الإسلامية، ومن مؤلفاته في هذا المجال «في ميزان الإسلام» «جزءان»، و«من منطلق إسلامي» «جزءان» و«مجالس العلم في حرم المسجد»، و«المثل الإسلامية»، و«قضايا إسلامية مناقشات وردود» «جزءان» دار الوفاء بالمنصورة.

وله في الدراسات الأدبية والنقدية باع طويل، فألف كتباً منها (الأدب الأندلسي بين التأثر والتأثير)، و(النقد الأدبي للشعر الجاهلي) أصدرهما

المجلس العلمي لجامعة الإمام محمد بن سعود بالرياض. و«دراسات أدبية» أصدرته دار السعادة بمصر، و«نظرات أدبية» «أربعة أجزاء» أصدرته دار زهران بمصر، و«حديث القلم»، و«قطرات المداد» أصدرهما النادي الأدبي بجدة، و«بين الأدب والنقد» أصدرته الدار المصرية اللبنانية.

ولم يقف نتاجه الأدبي عند الدراسة الأكاديمية وحدها، بل تخطاه إلى الإبداع الأدبي قصة وشعراً ومسرحية.

فمن مسرحياته: «انتصار»، «فوق الأبوة» في كتاب واحد، مطبعة السعادة، و«بأي ذنب»، و«ملك غسان» «مسرحية شعرية» أصدره مكتب الجامعات للنشر.

ومن دواوينه: «صدى الأيام»، و«حنين الليالي» مطبعة السعادة. و«من نبع القرآن»، و«حصاد الدمع» دار الأصالة بالرياض.

كما أصدر قصصاً للأطفال، في أجزاء متوالية: أصدرتها دار الأصالة، ودار القاسم بالرياض:

١) المغامر الشجاع.
٢) الهمة العالية.
٣) مؤامرة فاشلة.
٤) الفارس الوفي.
٥) يوم المجد.
٦) دجال القرية.
٧) الحبل الأسود.
٨) الفتاة المثالية.
٩) إلى الأندلس.
١٠) رحلة الخير.
١١) اللَّه معي.
١٢) بطل شيبان.

١٣) إلى الإسلام. ١٤) لست وحدي.

١٥) حكمة اللَّه. ١٦) الأصل الطيب. . (وغيرها).

وقد تدفقت مقالاته عبر أنهر الصحف والمجلات؛ فكتب في مجلات:

١) الأدب الإسلامي. ٢) الأديب.

٣) الأزهر. ٤) الأقلام.

٥) الثقافة. ٦) الحج.

٧) رابطة العالم الإسلامي. ٨) الرسالة.

٩) الضياء. ١٠) علامات.

١١) الفيصل. ١٢) الكتاب.

١٣) المجلة العربية. ١٤) منار الإسلام.

١٥) المنهل. ١٦) الهلال. . . (وغيرها)[١].

*ومن شعره:*

قوله من قصيدة حول الغيبة وهي من دقيق المعاني وجليل المقاصد:

**ولـي قـصـةٌ شـدَّ مـا أكَّـدتْ بـليـغَ الـعـظـاتِ لـمـن فـكَّـرا**

**فَـبِـالأمـس غـالَ الـردى أرْقَـمـاً فـغـودِرَ مـنـبـطـحـاً فـي الـثـرى**

**تَـــروعُـــكَ ذِلَّتُـــه هـــامـــداً وكـان الـعـزيـزَ الـمـنـيـعَ الـذُّرى**

**تـــأمَّـــلْتُـــهُ بَـــدِراً مُـــهْـــمَـــلاً فـأثَّـر فـي الـنـفـس مـا أثَّـرا**

---

(١) صوت الإسلام الصارخ. جاء التعريف به في ذيل الكتاب.

**ومن فوقه كاسرٌ قد سَطا     وأَنْشَبَ في متْنِهِ مُنْسِرا**
**يمزّقُ ما شاء من لحمه     وينقُرُ ما اسطاع أن ينقُرا**
**فطاردتُهُ محنقاً غاضباً     كأني أرى حَدَثاً أخطَرا**
**لقد هاج نهشُ الصِّلالِ الأسى     بقلبي فزمَجَر ما زمجرا**
**فكيف بمن نَهَشَ الأصدقاء     أيكرمُ في الناس أم يُزدرى[١]**

قصيدته التي في حديث الإفك من ديوانه من نبع القرآن تتساوق مع قصيدة أحمد محرم في القص الشعري، قال الدكتور الناقد محمد صالح الشنطي حول هذه القصيدة:

«وهذه القصيدة التي تمثل نهجاً جديداً قد توفرت فيها عناصر القصة الشعرية من حيث الحدث وتناميه وبلوغه الذروة، والقدرة على رسم الشخصيات واستبطان دواخلها، وتصوير الصراعات المحتدمة في أعماق نفوسها، والحبكة المتقنة والمغزى والنسيج اللغوي الذي يستمد معجمه من آي الذكر الحكيم، أما التعليقات التي تدخل بها في سياق النص فجاءت انسجاماً مع الرؤية الإسلامية التي يتبناها الشاعر، وإن كانت لا تتسق مع أصول الفن وجمالياته، غير أننا أشرنا منذ البدء إلى أن الجانب التربوي والتعليمي وإن لم يكن من طبيعة الفن فإنه من غير الممكن أن يخلو منه نص كهذا يستوحي القرآن الكريم ويستلهم آياته[٢].

* * *

(١) ديوان من نبع القرآن ص(٥١).
(٢) في الأدب الإسلامي ص(٢٤٨).

## قصيدة / الذين جاؤا بالإفك

للشاعر / د. محمد رجب البيومي

أَخَذَتْ تبكي وقد رانَ المساءْ ويحهم قد تركوها في العراءْ
نشدتْ كهفاً يواريها فما وجدتْ مأوى لها غيرَ الفضاء
ظلمةٌ تطغى بقفر موحِشٍ تفزعُ الأسدُ به كيف الظباء؟
هجمَ الليلُ بها مفترساً كلُّ نجمٍ سيءُ الحظ أضاءْ
ذكرتْ أحمدَ، لو يعلمُ ما هيَ فيه، قطعَ البِيدَ وجاءْ
شأنُها الدائبُ أن تذكُرَهُ في دجى الشر، فينجابَ البلاءْ
ذكرتْ أحمدَ حيث استشعرتْ في اختناق اليأس روحا من رجاء
طيفه أوحى إليها ثقةً لم تتَحْ إلا لرهط الأنبياء
عقلُها يغلي بشكٍّ كلّما أبصرتْ واقعَها قَيْدَ الشّقاء
غيرَ أنّ القلبَ في أعماقه واثقٌ باللَّه يرجوهُ النّجاء
أطرقتْ فاستمعت ذا صيحةٍ يُرْقِصُ البيدَ على صوت الحداء
مُدلجٌ أسأَمَهُ المسرى فلم يجد السلوان إلا في الغناء
من بعيدٍ تسمعُ الصوتَ ولا تبصرُ القادمَ، والليلُ عَماء
نظرتْ وارتجفتْ تحذر أن يَثِبَ الليلُ عليها باعتداء
إنّه يشدو، وما يعقل أن ينهجَ الغِرِّيدُ نَهْجَ الأشقياء

غـيـرَ أنّ الـنـومَ قـد أنـقـذهـا فـارتـمـتْ تـنـهـلُ مـنـه مـا تـشـاء
أيُّ عـونٍ قَـدَّمَ الـنّـومُ لـهـا فـطـوى أشـجـانَـهـا طـيَّ الـرِّداء
ودنـا صـفـوانُ فـاسْـتَـفْـظَـعَ مـا قـادَهـا لـلتيـه فـي الـقفـر الـخَـلاء
هـابَـهـا فـي نـومِـهـا قـديـسـةٌ سَـهِـرَتْ تَـحْـرُسُـهـا عـيـنُ الـسَّـمـاء
هـبَّ يـدعـو الـلَّـهَ كـي يـوقِـظَـهـا أَلِـغَـيْـرِ الـلَّـه نـسـعـى بـالـدعـاء
دعـوةٌ نَـمَّـتْ عـلـيـه فـاغـتـدى واضـحَ الـنَّـبْـرَة بـيـن الـحـنـفـاء
أُيْـقِـظَـتْ مـن وعـيـهـا فـانـتـبـهـت لـتـرى الـهـودجَ مـسـتـور الـغـطـاء
وتــنــحّــى، فــاعــتــلـتْ واثــبــةً مـا رأى طـلـعـتَـهـا الـزهـراءَ راء
قــبــسٌ مــؤتــلـقٌ مــن أحــمــد آذنَ الـنـفـسَ بـمـا يـمـحـو الـعـنـاء
واصـلَ الـمـسـعـى بـهـا إذ ضَـمِـنَـتْ راحـةَ الـقـلـبِ ومـوفـورَ الـهـنـاء
أَتـرى الـنـاقـةَ قـد بـاهَـتْ بـهـا فـمـضـتْ تـسـحـبُ ذيـلَ الْـخَـيـلاء
وردتْ مــــنــــزلَـهــــا هــــانــــئــــةً مـوردَ الـطـيْـرِ عـلـى ظـلٍّ ومـاء
عـصـبـةٌ ألـهَـبَـهـا الـحـقـدُ جـوى فـمـضـتْ تـأكـلُ لـحـمَ الأبـريـاء
حَـطَّـمَ الإسـلامُ مـنـهـا شِـرَّةً تـعـشـقُ الـزُّورَ وتَـلْـتَـذُّ الـعَـداء
خَـنَـسَـتْ مـذعـورةً مـن بـطـشِـهِ فَـهْـيَ لا تـلـقـاه، شـأنَ الـضّـعـفـاء
غـيـرَ أن الـحـقـدَ قـد أورثَـهـا شـرراً هـيـج مـنـهـا الـبُـرحـاء
مـالـهـا لا تـنـشـرُ الإفـكَ لـظـىً طـائـرَ الـشُّـعـلـةِ يَـصْـلـى الأتـقـيـاء
أوهـمـوا أغـرارَهُـمْ فـانـطـلـقـوا كـلُّ فـرد مـنـهـمـو كـالـبَـبَّـغـاء
قَـدِمَ الـركـبُ، وجـاءتْ بـعـده مـع صـفـوانَ، وفـي الأمـر خـفـاء

هـكـذا قـالـوا وَلَجَّـتْ فـتـنـةٌ     خَبَّ فيها كلُّ ذي عقلٍ هَواء
ويـلهـم، قـد سقطَ العقدُ فَلِم     نَسَجُوا في أمره كلَّ ادِّعاء
إن تَكُـنْ تـعـلمُ مـا يـعـقـبُـهُ     تركتْهُ دون بحث في العَراء
وأتـى الأمـرُ أبـا بـكـرٍ فـمـا     شامَ في المحنة وجهاً للعزاء
واثـقٌ مـن عـرضـه يـرمِـضُـهُ     أن قوماً أوغَلُوا في الافتراء
لم يُطِقْ مرأى رسولِ اللَّهِ في     محنة جسّدها فَرْطُ الدّهاء
ورســـوُل الـــلَّه مـــا أهـــدأَهُ     وهو في اللأواء زينُ الحلماء
تـركَ الـسـيـلَ بـمـجـراه وقـد     لَمحَ النارَ على وشْكِ انطفاء
سـائـلٌ عـنـهـا فـمـا يـتـرُكُـهـا     في لظى محنتها رهن البلاء
كيف تِيكُم؟ باحثاً مستفسراً     وله من ربه الأعلى اهتداء
يا لـهـا اللَّهُ، تَدَجّى خطبُها     حين لا يبدو شعاعٌ من ضياء
سـقـطـتْ مـنـهـارةً يـنـهَـشُـهـا     ألـمٌ قـد كـاد يـولـيـهـا الـفـنـاء
أيُّ إفـك زعـمـوهُ ويـحَـهُـم     ما الذي أغراهُمو بالشّرفاء

وجاء في القصيدة أيضاً:

وَدَّتِ الـموتَ، وهـل يـمـنعُـهـا     بعد أن تمضي هراءُ الأدنياء
سُحُبٌ ليس يُجَلّي غيمَها     غيرُ جبريلَ بوحيٍ ذي جلاء
يَـدْلَهِـمُّ الـجـوُّ فـي عـاصـفـةٍ     ما لوحشِ القفرِ فيها من وقاء
ثـم يـصـفـو، فـإذا الأفـقُ سـنـاً     من لُجَيْنٍ، وإذا الريحُ رُخاء
مـثـلـمـا يُـسْـعِـدُ لألاءُ الـسَّـنـا     مقلةَ الخابطِ في التِيهِ العَماء

ضَلَّ ما ضَلَّ بداجٍ غَيْهَبِ تعزفُ الجنُّ به لحنَ الرثاء
جلجلَ الذكرُ بها تبرئةً تُسْقِطُ الغيثَ على قوم ظِماء
للخبيثات الخبيثون وما كانَ زينُ الخلقِ بين الخُبثاء
طَيِّبٌ يُهْدى إلى طيِّبَةٍ طَهُرَ المغرسُ أصلًا والنّماء
جئتمو بالإفك يرمي جمعَكُم بشواظٍ لاهبٍ يومَ الجزاء
قد تولى كِبْرَهُ ذو حسد بَرَحَ الغِلُّ بهِ والغِلُّ داء
لم يُصِبْ من أحمد أهدافه فانتحى زوجته كيما يُساء
هِبْهُ يَقْلي أحمداً، ما صَنَعتْ زوجةٌ تُمْنى بكيدِ اللُّؤَماء
أأصيلٌ سيدٌ في قومه ثالبُ الأغراض بالزيفِ الهُراء؟
هو من دَهْمائِها فليعترفْ بخناه ليس أهلا للعلاء
أيُّ حسناءَ حصانٍ خَصَّها ربُّها الأعلى بإكليل الثناء
أشرقَتْ في سُورة النُّور فما مثلَها في أوجِها ذاتُ بهاء
إن تكنْ مريمُ نالتْ فخرَها فهُما في دولةِ الحُسنى كَفاء
أصبحتْ أسوةَ غيد بعدَها صرنَ نهبا لادعاء التعساء
فرفعنَ الأمر للَّه كما رفعت واللَّه عون الضعفاء
ليتَ من يرمي بإفك غادةً يدركُ العُقبى فَيَثْنِيه الحياء[1]

* * *

(١) ديوان من نبع القرآن ص(٧٩).

## القصيدة الحادية عشر: قصيدة/ عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا

**للشاعرة / علية الجعَّــار**

**( ١٣٥٤؟..... هـ/ ١٩٣٥..... م)**

*ترجمتها:*

علية بنت محمد بن أحمد الجعار، ولدت في مدينة طنطا. مصر. تلقت مبادئ اللغة العربية على يد والدها، وحفظت كثيراً من دواوين الشعر، وقرأت أمهات كتب الأدب، ثم التحقت بكلية الحقوق. جامعة القاهرة، وتخرجت فيها عام ١٩٦٠م. اشتغلت بالمحاماة ثم التحقت بالعمل في التلفزيون، وتدرجت في المناصب إلى أن وصلت إلى درجة مدير عام الشئون القانونية بالتلفزيون.

*من دواوينها العشرية:*

«إني أحب» ط ١٩٦٨م، و«أتحدى بهواك الدنيا» ط ١٩٧٧م، و«غريب أنت يا قلبي» ط ١٩٨٣م، و«ابنة الإسلام» ط ١٩٨٧م. كانت الجامعية المثالية لجامعة القاهرة، وحصلت على ميدالية المسرح الجامعي، وجائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري. فرع أفضل قصيدة عام ١٩٩٠م[١].

---

(١) معجم الشعراء(٤/ ٧٠).

**قصيدة عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا :**

نجمٌ يضيءُ فيقبَسُ العلماءُ ... نبع يفيض فينهل الفقهاءُ
من مثل عائشةَ النبوةٍ من له ... في الدين فقه مثلُها وعطاءُ
حسناءُ في عمر الزهور يزينها ... عقلٌ كبير ناضجٌ وذكاءُ
تلميذةٌ في بيت خير معلم ... تقتاتُ منه العلمَ كيف تشاء
جبريلُ يوحي والنبيُّ مرتلٌ ... آيَ الكتاب وكلُّها إصغاء
وهي النقاء مؤكدا ومجسداً ... فالطهرُ تاج والعفاف رداء
لمّا رَمَتْها في المدينة عصبةٌ ... بالإفك راحوا يهمسون وجاءوا
اللَّهُ برَّأها وأعلى قدرها ... وملائكٌ شهدت لها وسماء
يا أيها التاريخ قل عن زهدها ... ما هز من أركانه أهواء
أمٌّ لكل المؤمنين ولم يكن ... منها ببيت المصطفى أبناء
حازت لدى قلب النبي مكانةً ... ما طاولتها في الفؤاد نساء
فهي ابنة الصديق صاحب أحمد ... والخير فيما أنجب الكرماء[١]

* * *

(١) مجلة الأزهر، يناير ١٩٩٠م.

## القصيدة الثانية عشر: أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها

**للشاعر / د. عبد اللّه باشراحيل**

**(١٣٧٠ - . . . هـ/ ١٩٥١ - . . . . م)**

*ترجمته:*

الدكتور عبد اللّه محمد صالح باشراحيل. ولد بمكة المكرمة ـ المملكة العربية السعودية، حصل على بكالوريوس العلوم السياسية، فماجستير الدراسات الدولية ١٩٨٤، فدكتوراه الفلسفة الإنسانية ١٩٨٧م، كما حصل على دبلوم أكاديمية اتحاد الأدباء اليونانيين المصريين بأثينا.

يشغل حالياً منصب رئيس مجلس إدارة مجموعة الباشراحيل للمشاريع الإنمائية، ورئيس مجلس إدارة مستشفى محمد صالح باشراحيل، ورئيس مجلس إدارة فروسية مكة.

من دواوينه الشعرية: «معذبتي» ط ١٩٧٨ و«الهوى قدري» ط ١٩٨٠ و« النبع الظامئ» ط ١٩٨٦ و «الخوف» ط ١٩٨٨ و«قبضة الريح» و «البحر الطامي» خ. وله: «قصائد في أحداث الخليج».

نال بعض الأوسمة والميداليات التقديرية من بعض النوادي الأدبية بالمملكة، وتم تكريمه في اليونان في حفل كبير. كتب عنه: زين كامل الخويسكي، وعباس عجلان، وعبد اللّه سرور، كما صدرت دراسة لديوانه النبع الظامئ عن الهيئة المحلية لرعاية الفنون والآداب بالإسكندرية

قدم لها الدكتور محمد مصطفى هدارة[١] .

قصيدته تحدثت عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وعن فضائلها ولم يتحدث عن حديث الإفك إلا في ثلاثة أبيات، والقصيدة على الرغم من قصرها إلا أنها قد أشارت إشارات خاطفة لأبرز فضائلها ومواقفها ومعالم شخصيتها رضي الله عنها .

*قصيدة أم المؤمنين:*

**أمُّنا تلك وأم المؤمنينا — زوجةُ المحمودِ أخلاقاً ودينا**

**يا أحبَّ الناس بالمبعوث تعلو — وأشدَّ الخلق حرصاً ويقينا**

**يا ابنةَ الصِّديق مأثورِ العطايا — قد زكا نفساً وبراً وشؤونا**

**نصفُ دين الخلق منها نجتليه — إنه أمر من المختار فينا**

**قد وعتْ ما جاء في القرآن علماً — ورعتْ ما كان حقاً مستَبينا**

**تَقْتَري النورَ الذي كم تصطفِيه — وترى الجنةَ روضاً وعيونا**

**يفزعُ الخلقُ إليها باحتكام — فتعيدُ الحق وضاحاً مبينا**

**لم تكن ترجو من الدهر نوالًا — وهي في الدنيا نوالٌ يجتبينا**

**عاشتِ الفقرَ مع المبعوث عمراً — وهي في الحربِ تداوي المؤمنينا**

**يا لها أماً رؤوماً قد تسامتْ — وتساقت من هدى اللَّهِ سنينا**

**أنزلَ اللَّهُ من القرآن وحياً — برأ اللَّهُ لها عرضاً حصينا**

**وهي بالحمد وبالشكر تناجي — ربَّها المعبودَ حباً وحنينا**

(١) معجم الشعراء (٣/ ٢٨٦).

تـلبسُ الـطـهـرَ عـفـافـاً وأمـانـاً   تـنـهـلُ الـنـورَ رحـيـقـاً ومُـزُونـا

(الـحـمـيـراءُ) ومـا أغـلاهُ وصـفـاً   مـن نـبـيِّ الـلَّهِ نـبـعـاً ومَـعـيـنـا

وهي من نور الهدى أضواءُ فجر   عـطَّـرَ الـدهـرَ شـمـالًا ويـمـيـنـا

رضـيَ الـلَّهُ عـلـيـهـا وحـبـاهـا   جـنـةَ الـخـلـد نـعـيـمـاً وفـتـونـا

إنــمــا لــلَّه إنــعــامٌ وفــضــلٌ   هكذا اللَّهُ يجازي الصابرينا(١)

٩/ ١/ ١٤٢٢هـ.٣/ ٤/ ٢٠٠١م

(١) ديوان أقمار مكة.

## القصيدة الثالثة عشر: قصيدة حديث الإفك

**من تغريدة السيرة النبوية**

**للشاعر/ محمد عايش عبيد**

*ترجمته:*

كان مدرساً بالأزهر ثم مشرفاً على شؤون القرآن الكريم بالمعهد الديني بالعريش، ألف كتاب تغريدة السيرة النبوية، وهو كتاب من أربعة أجزاء في مجلدين، نظم فيهما سيرة النبي ﷺ من خلال المعلومات التاريخية الواردة في سيرة ابن هشام، وقد غلب على كثير من أجزائها النظم والتكلُّف، إلا أنها تعد محاولة مهمة في سياق الكتابة الإبداعية في سيرة النبي ﷺ، وطريقته كانت أن يورد الأبيات في صفحة وفي الصفحة المقابلة لها يأتي بالمعنى الإجمالي لهذه الأبيات، يقول في مطلع ملحمته:

**لك يا رسول اللَّه مني هذه تغريدتي ... أودعتها مكنون صدري بل عصارة فكرتي**

**أشدو بها في حبكم ذاك الذي هو شرعتي ... أهديتها لك كي أعبر عن صفاء محبتي**[(١)]

وقد أقدم على كتابة السيرة شعراً عدد من أعلام الفكر والأدب كالشاعر أحمد محرم، في ديوان مجد الإسلام - كما ذكرنا سابقاً - وعزيز أباظة في ديوان من إشراقات السيرة الزكية، والأستاذ السفير عبدالحميد الخطيب في تائية الخطيب، وقد لاحظت أن محمد عايش عبيد هو أقلهم

(١) تغريدة السيرة النبوية ص (١).

شاعرية وما هذا إلا لأنه أراد كتابة سيرة النبي ﷺ كلها شعراً، وفي بعض مواضيع من السيرة النبوية معلومات تاريخية وخطط عسكرية وغيرها مما لا يحفز الخيال والوجدان عند الشاعر حتى يكتب إبداعاً شعرياً.

وقد استقيتُ قصيدته عن حديث الإفك من تغريدته، ولما أسلفت من رغبة الشاعر بالإحاطة بالسيرة النبوية كاملة كانت قصيدته أطول القصائد وأقلها شاعرية، ويبدو أن الشاعر قد استطاب هذا المنهج في الكتابة الإبداعية حتى كتب: «يوسف الصديق» شعراً ونثراً، لكن ربما كانت شاعريته أنقى وأقل تكلفاً مما حدا بمقدِّمها الإمام العالم أحمد حسن الباقوري رحمه الله أن يعبِّر عن سعادته بها بقوله: وجدته - أي شعره- شعراً شاعراً ونثراً رائعاً بحيث أقنعني بأن هذه الرسالة تستحق من عناية أهل العلم بها ما يهتف بهم على إذاعتها في الناس وينتفع بأسلوبها الأدباء والمتأدبون.

**قال فيها:**

**يا ابن الكرام فأنت في عين العناية عن يقين**
**السجن مكتوب عليك فلا تكن في الساخطين**
**فاصبر على البلوى تفز بالمجد بين الخالدين**
**قد كان قبلك أنبياء فلم يكونوا مترفين**
**لاقوا من الأهوال ما قد فاق وصف الواصفين**[1]

كما كتب في نفس الأسلوب كتاب: (الشعر في موكب السنة المطهرة) وقد عمد الشاعر إلى بعض أحاديث النبي ﷺ ونظمها.

(١) يوسف الصديق شعراً ونثراً ص(١٦٣).

## القصيدة / حديث الإفك من تغريدة السيرة النبوية

**عائشة رضي الله عنها تروي ذكرياتها**

**في شأن عائشةَ الطهورِ وقصةِ الإفك الخطيرة**
**فلقد روتها وهي صادقة، فكم كانت مثيرة**
**قالت: أراد المصطفى غزواً لأطراف الجزيرة**
**واختارني بالاستهام(١) لرحلة كانت مريرة**
**في هودجي قد كنت أجلس عند مبتدأ المسيرة**
**يأتي الرجال فيحملون لهودجي فوق(٢) البعيرة**
**جسمي خفيف لم أكن أُثقلت باللحم الكثيرة**
**لا يشعرون بأنهم حملوا لأثقال كبيرة**
**ويواصلون مسيرهم منذ الصباح إلى الظهيرة**
**وإذا استراحوا واصلوا الترحال في وقتٍ قصيرة**
**قبل الرحيل أكون داخل هودجي مثل(٣) الصغيرة**
**وعليه أستار فيحجبني عن العين البصيرة**
**لم ينظروا في هودجي، بل يحملوني في سريره(٤)**

(١) واختارني بالاستهام: بالقرعة.
(٢) فوق البعيرة: البعيرة مؤنث بعير وهي الناقة.
(٣) مثل الصغيرة: مثل البنت الصغيرة..
(٤) يحملوني في سريره: في تكتم وسر.

## تخلف عائشة عن القافلة

هذي الرواية لا تزالُ تثيرُ شوق السامعين
من قول عائشة الطهور، ومن رواة آخرين
كلُّ الرواة يؤكدون مقالَ أم المؤمنين
قالت: لقد بتنا وكنا للمدينة عائدين
في موضعٍ قرب المدينة قد أناخوا[١] نازلين
باتوا وعند الفجر نادوا للرحيل مبكرين
قد كان هذا دأبهم في سيرهم كمحاربين
حمل الرجالُ لهودجي فوق البعير المسْتَكين
لم يشعروا أني به، أو لست فيه على اليقين
لم يرفعوا الأستارَ، أو لم يسألوا مستفهِمين
قد واصلوا ترحالَهُمْ نحو المدينة ذاهبين
قد كنت عند رحيلهم في حاجتي[٢] كالآخرين
رحلوا ولم أشعر بهم حتى تولَّوا راجعين
لما قضيت لحاجتي، قد ضاع لي عقد[٣] ثمين
فظللت أبحث عنه في جنح الظلام لأستبين

(١) أناخوا نازلين: أي للمبيت.
(٢) في حاجتي: كانت قد ذهبت لقضاء حاجتها بعيداً عن مكان نزولهم.
(٣) ضاع لي عقد ثمين: فقد عقدها الثمين.

## أول حديث الإفك

ها نحن لا زلنا نواصل للرواية سامعين
تحكي لنا أختُ الطهارة زوجةُ الهادي الأمين
قالت: وجدتُ العقدَ، فوراً عدت نحو[(١)] النازلين
واحسرتاه، فلم أجدهم، أسرعوا مترحلين
فجلستُ والدنيا ظلامٌ حيث كنا[(٢)] نائمين
ثم اضطجعت لعل بعضَ القوم جاءوا باحثين
وإذا بصفوان المعطل كان في المتخلفين
فلقد تخلَّفَ باحثاً عن حاجيات ضائعين
فرأى سوادي من بعيد، جاء نحوي يستبين[(٣)]
لما رآني صار يذكر قولة[(٤)] المسترجعين
قد قال: تلك ظعينةُ الهادي وخيرِ المرسلين
فوراً أناخ بعيرَهُ، فأتيتُهُ[(٥)] كالخائفين
فعلوتُ ظهرَ بعيره، وشعرت بالأمن الأمين
قادَ البعير وقد وصلنا للمدينة مصبحين
فتحدثوا بالإفك أهلُ الشر كانوا حاقدين

---

(١) نحو النازلين: مكان مبيت الجيش.
(٢) حيث كنا نائمين: في المكان الذي كانوا نازلين فيه.
(٣) يستبين: يستطلع.
(٤) قولة المسترجعين: هي (إنا لله وإنا إليه راجعون).
(٥) فأتيته كالخائفين: وهي مشية في حياء.

## عائشة وحديث الإفك

مـرضٌ ألـمَّ بـأم عـبـد الـلَّه[١] أم الـمـؤمـنـيـن

والناس كانوا قد أفاضوا في الحديث[٢] مرددين

قالوا: ويابئس المقال، مقالَ كل المفترين

الإفـكُ كـان حـديـثُـهُـمْ، فـتـحـدّثـوا متطاولـيـن

في شأن عائشة الطهور وزوجِ ختم المرسلين

فلقد رَمَوها بالزنا مع صاحب الهادي الأمين

ابنِ المعطّل كان من خير الرجال المؤمنين

أختُ الـبـراءة جاء دور حـديـثـهـا لـلـسـامـعـيـن

قالتْ: لقد وصل الحديث إلى رسول العالمين

وكـذا إلـى أهـلـي وكـانـوا كـلُّهـم مـتـكـتـمـيـن[٣]

لاحظتُ إعـراضَ الـنـبيِّ بـجـفـوةِ الـمـتـعـمّـديـن

قد كان عند توعكي دوماً يجيء ليستبين[٤]

ويـكـون مـنـه تـلـطُّـفٌ ودُعـابـةٌ كـالـمـازحـيـن

لـكـنَّـه فـي هـذه لـم يُـبْـدِ عـطـفـاً لـلأنـيـن[٥]

(١) أم عبد الله: هي عائشة رضي الله تعالى عنها.

(٢) قد أفاضوا في الحديث: حديث الإفك.

(٣) متكتمين: يكتمون عني الخبر.

(٤) ليستبين: يستفسر.

(٥) للأنين: للألم الذي أعانيه والأنين أيضاً.

فطلبتُ إذناً أن أُمَرَّضَ عند أمي أستكين
فأجابَني فوراً وقال: إذا أردت لتذهبين
فمكثتُ ثَمَّ ولم أكن أدري بقول الخائضين

## عائشة تعرف بما يقال عنها

هذي البريئة لا نزال لقولها مُتَسمِّعين
قالت: ظللت مريضةً في بيت أهلي الصامتين
عشرون يوماً قد مضت في ذلك المرض اللعين
قد أخبرتْني أمَّ مسطحَ عن مقال الآفكين
الناسُ خاضوا في الحديث بأنّني في المخطئين
فَصَعِقْتُ مما قد سمعتُ، وصرتُ أبكي في أنين
فسألتُ أمي، كيف هذا؟! كنتِ عنّي تكتُمين؟!
قالتْ: بنيةُ فاصبري، لا تعجبي للقائلين
كلُّ النساء من الحسانِ يَنَلْنَ سهمَ الحاقدين
لاسيّما من هنّ مثلكِ في ضرائرَ أكثرين
خطبَ النبيُّ الناسَ قالَ وكلُّهُم في السامعين:
ما بالُ أقوامٍ أصابوا أهل بيتي قاذفين
ولقد رَمَوْا[١] رجلًا عفيفاً من خيارِ المسلمينْ
عُرِفَ الذين تَقَوَّلوا لتلك المقالةِ عامدينْ

(١) رموا:- اتهموا.

رأسُ النفاق هو الذي قد كان رأسَ المفترينْ
مع بنتِ جحشٍ[١] ثم مسطحَ بعده كَمُرَدِّدِينْ
حسانُ أيضاً كان معهم رَدَّدَ القولَ المُشِينْ

## رسول اللَّه يستشير أصحابه

المصطفى نادى علياً معْ أُسامةَ[٢] للسؤالْ
ناداهما كي يَصْدُقاهُ على السؤالِ بلا جدالْ
كان السؤالُ عن البريئةِ عن سلوكِ الإنحلال[٣]
فوراً أُسامةُ قد أجابَ وقال قولًا باعتدال
أثنى على زوجِ الرسولِ، فكان من خير الرجال
لكن علياً قد أجابَ بكل حرص ثم قال:
يا خيرَ خلقِ اللَّهِ لا تحزَنْ ولا تخش المقال
إنّ النساءَ بكثرةٍ من خيرِ ربّات[٤] الحِجالْ
وأسأل بريرةَ رّبما قالتْ بصدقٍ وامتثال
سألَ الرسولُ بريرة[٥] عن علمِها فيما يقال!
قالتْ: فعائشةُ طهورٌ فوق كل الاحتمال
إني لأعلمُ أنها لم تقترفْ سوءَ[٦] الخصال

(١) بنت جحش: هي حمنة بنت جحش.
(٢) أسامة: هو أسامة بن زيد.
(٣) عن سلوك الانحلال: الانحلال الخلقي.
(٤) ربات الحجال: النساء الجميلات المكنونات المصونات.
(٥) واسأل بريرة: بريرة هي خادمة عائشة وجاريتها.
(٦) سوء الخصال: كناية عن فعل الفاحشة.

## رسول اللَّه يسأل عائشة

في منزلِ الصّديق جاءَ المصطفى كالزائرين
بدأَ الحديثَ إلى البريئة فهي أم المؤمنين
عن قصةِ الإفكِ التي ملأت سماع المسلمين
يا عائشٌ فاستغفري إن كنتِ ضمن المذنبين
عودي لربك بل وكوني في عداد التائبين
اللَّهُ يَقْبلُ كلَّ عبد عاد للركن الحصين
لكنها لا لم تجبه، فسؤله زاد الأنين
قالتْ: ظننتُ أبي وأمي قد يجيبانِ الأمين
لكنَني فوجئتُ أنهما استمرا صامتين
فأسفتُ حتى قد ظننتُهما من المتشككين
فبكيتُ حتى جفَّ دمعي لم أجد لي من معين
فهتفتُ، كلا، لن أتوبَ، فذلكم إفكٌ مبين
اللَّهُ يعلمُ طهرَ ثوبي من كلام المفترين
ولسوف أصبرُ للبلاء، وبالإله سأستعين
حتى تجيء براءتي من عند رب العالمين

## براءة عائشة وحد القاذفين

في منزل الصّديق جاء الوحيُ للّهادي الأمين
قد كان هذا بعد أسئلةٍ لأمّ المؤمنين

قد صار يسألُها ولكن لم تجبه ليستبين
الوحيُ كان هو الجواب ليخرس المتخرصين[(١)]
الوحيُ يفصمُ[(٢)] عن رسول اللَّه كانوا جالسين
البشرُ يملأُ وجهَهُ، بشراكِ بنتَ الأكرمين
ببراءةٍ متلُوّةٍ في محكم الذكر المبين
في سورةِ النُّورِ التي فَضَحَتْ جميع الخائنين
قد بُرِّئَتْ أختُ العفافِ وخابَ ظنُّ الفاسقين
قالتْ: وكنتُ أظنُّ أنّي دون ذلك[(٣)] عن يقين
فحمدتُ ربّي إنّه المحمودُ دون العالمين
خطبَ النبيُّ الناسَ أخبرهُمْ بأمرِ الكاذبين
جيئوا ثلاثَتُهُمْ وقد جُلِدُوا أمامَ المسلمين
حسانُ كان ومسطحٌ مع بنت جحش الشائعين[(٤)]
لكنْ عدوَّ اللَّهِ لم يُجْلَد كباقي القاذفين
لمْ يشهدِ الشهداءُ عن قولٍ له في القائلين

## نزول سورة (النـور) بالأحكام

قد أخبر القرآنُ عن أحوال بعض المسلمين
في سورة النّور التي فيها حدود المجرمين

(١) المتخرصين: الكاذبين.
(٢) يفصم عن رسول الله: يترك رسول الله.
(٣) دون ذلك: أرى نفسي أقل من أن ينزل الله في قرآنا.
(٤) الشائعين: الذين أشاعوا ورددوا الخبر الكاذب.

عن قصة الإفك التي صارتْ حديثَ الهامسين
المؤمنون تنزّهوا عن أن يجاروا الخائضين
منهم أبو أيوبَ[١] كان وزوجُهُ متحفِّظِين
قالوا: فإنّا لا نظنُّ السوءَ مثلَ الآخرين
هذي المقالةُ إنّها جُرْمٌ عظيمٌ عن يقين
قد كان مسطحُ من أبي بكر له رَحِمٌ متين
الجلدُ كان جزاءَهُ، إذ كان بين الشائعين
قد أقسمَ الصِّديقُ لا يُعْطيه مثلَ الأقربين
لكنْ إله العرشِ قالَ وقولُهُ حقٌّ مُبين
لا تمنعوا أموالَكُم فقراءَكُم كالناقمين
المالُ قد أُعْطِيتُمُوهُ لكي تكونوا محسنين
فلتصْفَحوا عمَّن أساءَ وتغفِروا للمخطئين
فلتغفروا إن شئْتُمُ الغفرانَ من فعل مشين
فورًا أبو بكر أبى الإصرارَ في ذاك اليمين[٢]
بل قال: إنّي أرتجي غفران رب العالمين[٣]

❊ ❊ ❊

(١) أبو أيوب – هو خالد بن زيد الأنصاري.
(٢) في ذاك اليمين – أي تراجع عن قسمه بحرمان مسطح لكونه أساء لعائشة.
(٣) تغريدة السيرة النبوية (٣/ ٢٤٨).

## القصيدة الرابعة عشر: رسالة إلى أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا لعبد الرحمن العشماوي

**الشاعر عبد الرحمن العشماوي**

(١٣٧٦؟ -........ هـ/ ١٩٥٦ -........م)

*ترجمته:*

الدكتور عبد الرحمن صالح العشماوي، ولد في قرية عراء منطقة الباحة - المملكة العربية السعودية.

وبعد أن أنهى دراسته الثانوية التحق بكلية اللغة العربية، جامعة الإمام، وتخرَّج فيها ١٣٩٧هـ، ثم نال درجة الماجستير ١٤٠٣هـ، والدكتوراه ١٤٠٩هـ.

تدرج في وظائف التدريس بالجامعة حتى أصبح أستاذاً مساعداً للنقد الحديث في كلية اللغة العربية - جامعة الإمام، له مشاركات في الأمسيات الشعرية والندوات الأدبية، كما أن له حضوره الإعلامي من خلال برامجه الإذاعية والتلفازية، وقصائده ومقالاته التي تنشر في الصحافة.

من دواوينه الشعرية: «إلى أمتي» ط١٤٠٠هـ و«صراع مع النفس» ط١٤٠٢ و«قصائد إلى لبنان» ط١٤٠٢ و«بائعة الريحان» ط١٤٠٥هـ و«مأساة التاريخ» ط١٤٠٥هـ و«نقوش على واجهة القرن الخامس عشر» ط١٤٠٩ و«إلى حواء» ط١٤٠٨هـ و«شموخ في زمن الانكسار» ط١٤١٠ و«ويا أمة الإسلام»

ط١٤١٢ و«مشاهد من يوم القيامة» ط١٤١٢ و«ورقة من مذكرات مدمن تائب» ط١٤١٢ و«من القدس إلى سراييفو» ط١٤١٣ و«عندما تشرق الشمس» ط١٤١٣هـ.

ومن مؤلفاته: «الاتجاه الإسلامي في أثار علي أحمد باكثير» و«من ذاكرة التاريخ الإسلامي» و«بلادنا والتميز» و«إسلامية الأدب»، كتب عنه: أحمد عبد اللطيف الجدع، وحسني أدهم[١].

تفاعل الشاعر من خلال إنتاجه الأدبي مع قضايا الأمة حتى غدا شعره مرآة عاكسة لمآسي الأمة الإسلامية وآمالها وتطلعاتها.

ومن ذلك قوله عن شموخ أطفال الحجارة:

**أنا من ربوع القدس طفل فارس　　أنا مؤمن بمبادئ أنا مسلم**

**لغة البطولة من خصائص أمتي　　عنا رواها الآخرون وترجموا**

وأذكر أن له بيتاً لا يزايل خيالي تجمَّعت فيه الشاعرية، عبَّر فيه عن إيمان المسلم بالمستقبل المضيء المرتقب وهو في قصيدته التي مطلعها:

**هتفت بك الأشواق ياباغيها　　أخفيتها دهراً فهل تبديها**

والبيت هو:

**ثَقُلَتْ خُطا ليلِي وطرفيَ ساهرٌ　　والشمسُ غائبةٌ فمن يُبْديها**

ولاميته الرائعة التي تحدث فيها عن مشاهد يوم القيامة وقد استوحاها من ثقافته الإسلامية الأصيلة ومنها:

---

(١) معجم الشعراء(٣/ ١١٣).

وأجـــلتُ طــرفــي ســاعــةً ... فرأيتُ من أمر القيامة ما يروعُ ويذهلُ
هـذا أبٌ يـسـعـى إلـيـه وحـيـدُهُ ... وبـمـقـلـتـيـه تـرقُّـبٌ وتـوسُّـل
أبتاهُ أثقلني المسير وحاجتي ... شيء يسير لا يُمِضُّ ويُثقل
شيءٌ من الحسنات ينقذُني وقد ... خَفَّتْ موازيني وفيك أؤمل
فـازوَرَّ وجـهُ أبـيـه عـنـه مـردِّداً ... نفسي أحقُّ بما تقولُ وأمثلُ

وقصيدته الأولى جاءت في آخر كتابه (صاحبة الحرير الأخضر) وهو كتاب في سيرة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها مع تفصيل في جوانب شخصيتها العلمية والأدبية، والقصيدة لم تتحدث أو حتى تشير إلى حديث الإفك، إلا أن الشاعر قد استوحى من سمو أخلاقها وعفتها وعلمها وأدبها ما يؤهلها لمناجاة الشاعر وبثه، فجاءت القصيدة حوارية رائعة مزج فيها الشاعر ببراعة ما بين معاني شخصية أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها مع واقع الأمة ليخلص من خلال هذا المزج إلى تطلعات المسلم وسبل الخلاص من وهدة الواقع الأليم.

وأما قصيدته الثانية فقد جاءت تفاعلًا مع أحداث الإساءة إلى أمنا عائشة رضي الله عنها ، لذا فهي ألصق بموضوع الكتاب.

❋ ❋ ❋

## قصيدة/ رسالة إلى أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها

للشاعر / د. عبد الرحمن العشماوي

أُماهُ أُماهُ دمعُ العينِ سيّالُ — وخاطري في دروب الحزن رحّال

أماهُ أماهُ ما زالتْ تؤرقُني — همومُ عصري ففي الأعماق زلزال

قصائدي لم تزلْ تجري على نسقٍ — من الوفاء لأسلافي وما نالوا

وفاءَ من في حنايا قلبِهِ أملٌ — عذبٌ وفي نفسه للحق إجلالُ

بيني وبينك آكامٌ وأوديةٌ — من الدهور، وآثارٌ وأطلال

وبيننا جسرُ إيمانٍ عبرتُ به — وفي الطريق مفازاتٌ وأهوالُ

أتيتُ أقرأُ أمجادي، أُعَبِّرُ عن — نفسي، ولي في بلوغ القصد آمال

أتيتُ أحملُ مأساتي على كتفي — وفي يدي قلمٌ بالحب سيّال

أماه أماه أخباري منوعةٌ — وللحكايات عند الناس أشكال

في عصرنا، لجة الأحداث مائجةٌ — وما لنا زورقٌ في البحر جَوَّال

وأمةُ الحقِّ في أوطانها اشتعلت — نارُ الخلاف، وأهل الباطل احتالوا

أيا حليلةَ خيرِ الناسِ، أمتُنا — تمشي وفي صدرها المكشوف سلسالُ

تمشي وفي يدها البيضاءَ أَسْوِرَةٌ — تمشي وفي رجلها البيضاءَ خلخالُ

تبرَّجَتْ أمتي للعابثين بها — وغَرّها من فم التنّين مَوّالُ

لو أنها احتشمتْ ما ذابَ في فمها — صوتُ الإباء، ولا أعداؤُها صالوا

الظالمونَ قِصارٌ في حقيقتِهِم لكنهم بتغاضي أمتي طالوا
إذا تخلّى كريمٌ عن مبادئِهِ فسوفَ يرتعُ في الأوطان أنذال
أماه أماه ضاعَ العدلُ في زمنٍ أدنى وسائله قيدٌ وأغلال
أيا حليلةَ خيرِ الناسِ، إنّ بِنا داءَ السكوت على ما تقتضي الحال
تشكو موائِدُنا أصْناف ما حملتْ من الطعام ويشكو لهْوَنا المالُ
أماه أماه، لو أبصرت من نفخوا أبواقَهُم، في خداع الناس واحتالوا
ومن أراقوا دماءَ الأبرياء بلا ذنب فكم قَتَلوا بالظن واغتالوا
ولو رأيت طواويسَ الرجالِ وقدْ شدوا مآزِرَهُم بالوهم واختالوا
ولو رأيتِ رجالَ العلمِ كيف غَدَوْا لمَا سَقَتْهُم شرابَ الغفلة الدالُ
ولو رأيتِ نساءَ المسلمين وقد بدا لهنَّ على الأوهام إقبالُ
إذن، لعانيتِ يا أمّاهُ من ألم وكان للدمع في عينيك شلّال
أماه، قولي لمن باعت كرامَتَها وصدّها عن دروب الخير طبّال
قولي لمن جعلتْ أزياءَها هدفاً ومن دعاها إلى التحرير دجّال
أهكذا تركبين الموجَ حائرةً ويستبيحك بالأهوال أنذال
تنسين أنّك للأجيال مدرسةٌ وكم تعزُّ بعزِّ الأم أجيال
أيا حليلةَ خيرِ النّاس أمتُنا لها جوادٌ من الإعلام صهّالُ
لها سيوفٌ من الأبواقِ قاطعةٌ لها دروعٌ وأبوابٌ وأقفالُ
لها شعوبٌ تسرُّ العينَ كثرتُها في كلِّ قُطْرٍ من السُّكّان أرتالُ
لها رجالٌ لهم في القول ألسنةٌ مهدارةٌ، ولهم في البنْكِ أموالُ

سلاحُهُم في لقاء الخصم ممتهنٌ    لـكـنَّـه فـي لـقـاء الأهـل قـتَّـال
باعُوا فما ربحُوا، قالوا فما صدقوا    وفـوق هـذيـن إخـضـاعٌ وإذلال
أمـاه أمـاه أشـجـانـا ذوو نـسـبٍ    فـيـنـا ولـكـنّـهـم عـن ديـنـنـا مـالـوا
قلنا لهم خطرٌ يا قومُ يدهَمُكُم    فالسيفُ منصلتٌ، والسهمُ نبّال
ولن تَروا من يكيل الظلمَ في زمنٍ    إلا بـمـا كـالَهُ لـلـنـاس يـكـتـالُ
قالوا: رويداً فإن الوعي ينقُصُكم    القول ما قال «جوزيفٌ» و«ميشال»
من أعلنَ الحقَّ - يا أماه - مُتَّهمٌ    في عصرنا ودعاةُ الزيف أبطال
أيا حليلةَ خير الناس، قافِيتي    يـتـيـمـةٌ مـا لـهـا عـمٌّ ولا خـال
أرسلتُها وبنو قومي على جُرُفٍ    من الخلافات ما زالت وما زالوا
أماه قولي لنا، ماذا نقدِّمُ في    عصرٍ أحاطَ به ضعفٌ وإخلال
تاهَتْ مراكِبُنا والموجُ ملتَطِمٌ    وفي الشواطئ - يا أمّاه - أدغال
هنا رأيتُ خيوطَ النّور، أسعدني    نسيجُها، ولثوب الفجر إسبال
تحدَّثَ الفجرُ، أنهار الضياء جرتْ    ولـلـشـعـاع حـكـايـاتٌ وأمـثـال
يا أيها المشتكي، عيناك منطقةٌ    لـلـحـزن فـيـهـا مـسـافـاتٌ وأطـوال
لا تنس أنّ خَطا هذا الوجود، لها    في علمِ خالقِ هذا الكونِ آجال
نريدُ شيئاً، وننسى أن خالقنا    لـمـا يـريـد بـهـذا الـكـون فـعَّـالُ

الرياض - الأزهار - ١٤١١هـ[1]

---

(١) صاحبة الحرير الأخضر ص(٢٣٧).

## القصيدة الخامسة عشر
## أمام حجرة عائشة رضي الله عنها

للشاعر / د. عبد الرحمن العشماوي

حَصَانٌ - أيها الأعمى - رَزانُ ... يُشيرُ إلى فضائلها البَنانُ
رآها المجدُ أوَّلَ ما رآها ... مُبجلةً لها في الخير شَانُ
ترى فيها البراءةُ مبتغاها ... ويعجَبُ مِن بلاغَتها البيانُ
لها في قلبِ خيرِ الناس حُبٌّ ... تضلَّع من منابعهِ الجَنانُ
سرى في الأُفْقِ منهُ شذاهُ حتَّى ... تعطَّرَتِ الغمائمُ والعنانُ
حبيبةُ قلبهِ روحاً وعقلًا ... أحاطَ بها من الهادِي الحَنانُ
لقد شهدَت بحبِّهما البَرايا ... وطارَ بذكرِهِ الحَسَنِ الزمانُ
حبيبةُ سيِّدِ الأبرار أهدَى ... إليها الحبَّ فارتفعَ المكانُ
وأمُّ المؤمنين بأمرِ ربِّي ... وتلكَ أُمومةٌ فينا تُصانُ
لها من طِيبِ مَحتدِها شموخٌ ... به تأريخُ أمَّتنا يُزانُ
لقَد أعلى رَسولُ اللَّه قدراً ... لعائشَ، فاستقرَّ لها الكيانُ
وعن جبريلَ أقرَأها سلاماً ... فقُل لي: كيفَ ينفلت العنانُ؟!
سلامٌ مِن ملائكةٍ كِرام ... فلا عاشَ المُكابرُ والجَبانُ
ولا عاش الذينَ لهم قلوبٌ ... لَها بمَظاهرِ الكفرِ افتِتانُ
وما كلُّ الرجال لهم عقولٌ ... بها في كلِّ خَطبٍ يُستعانُ

ففي النَّاس العقاربُ والأَفاعي ... ومَن هو في الخَديعةِ ثعلبانُ
نعوذ بربِّنا من كلِّ قلبٍ ... به من سوءِ نيَّته احتِقانُ
ومِن بعض النفوسِ.. بِها لهيبٌ ... يثُور به من الحقدِ الدُّخَانُ
لقد كذبوا على خيرِ البَرايا ... ونالُوا مِن حبيبتهِ، وخانُوا
وماذا ينقمُ السُّفهاءُ مِنها ... وفي تكرِيمها كُسبَ الرِّهانُ؟
وكيفَ يصحُّ فيها قولُ غاوٍ ... وعندَ اللَّهِ قدْ عُقِدَ القِرانُ؟
أتُرمَى زوجةُ الهادِي بسُوءٍ ... ويبقَى مَن رَماها لا يُدَانُ؟!
بَغِيضٌ مَن يسيءُ لها بَغِيضٌ ... عليهِ مِن الخَنا والإِثم رَانُ
إِذَا أَمِنَ الغُواةُ عِقابَ ذنبٍ ... تمادَوا في الغوايةِ واستهانُوا
أمَا يكفي ابنةَ الصدِّيق وحيٌ ... تنَّزلَ في اللحافِ لَوِ استبَانوا؟
أيا بيتَ النُّبوَّةِ، أنتَ رمزٌ ... عليهِ من المَهابة طَيلَسانُ
وفيكَ مِن التُّقى نُورٌ مُبِينٌ ... وإحسَانٌ وعدلٌ واتِّزانُ
وفيكَ الحبُّ فجرٌ مِن حنانٍ ... به الناسُ استضاؤوا حيثُ كانوا
وفيك تدفَّق القرآنُ نهراً ... وفي جنَباتكَ ارتفعَ الأذانُ
وفيك وشائجُ القُربى تسامَت ... وعنهَا صدَّق الخبرَ العيانُ
سمَا بمقامكَ العالي رسولٌ ... وزوجاتٌ كريماتٌ حِسانٌ
لعائِشَ فيكَ منزلةٌ، ولكن ... لهنَّ القَدرُ والحق المصانُ
أيا بيت النبوةِ، أنت صرحٌ ... عظيمٌ لا تطاولهُ الرِّعانُ
برغمِ الحاقدينَ تظلُّ رمزاً ... به الإيمانُ يُشرِقُ والأَمانُ

## القصيدة السادسة عشر
## عائشة رضي الله عنها حبيبة المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم

**للدكتور ناصر الزهراني**

الشاعر ناصر بن مسفر القرشي الزهراني حسيني يعود نسبه إلى الحسين بن علي رضي الله عنهما ، ولد في عام ١٣٨٣هـ - ١٩٦٣م بمنطقة الباحة في جنوب المملكة العربية السعودية.

*ترجمته:*

درج في مراحل التعليم حتى حصل على شهادة الدكتوراه في دراسة وجه الشبه في تشبيهات القرآن الكريم عام ١٩٩٨م .

ورغم أن الشاعر له ولع بالأدب والبلاغة إلا أن جل اهتمامه وكتاباته كانت في العلوم الإسلامية والدعوية، أسندت إليه مهمة الإشراف الكامل على جامع ابن باز رحمه اللّه في مكة المكرمة، كما عين فيه إماماً وخطيباً.

له عدد من القصائد ذاع صيتها منها قصيدته «رحلة في موكب الجلال» منها قوله:

**أيُّ شيءٍ يقوله الشعر لما يتفنىَّ بخالق الكائنات**
**ما نسجناه من بيان بديع ليس إلا خواطراً قاصرات**

**له من المؤلفات :**

اللّه أهل الثناء والمجد.

قصائد ضاحكة.

## عائشة رضي الله عنها حبيبة المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم

للدكتور ناصر الزهراني

تمايلي يا حروفَ الشعر من طربٍ ... ولتعزفي من لحونِ الأنسِ أزكاها
وسافري في دروب المجدِ واتَّقِدي ... فخراً لروعةِ ألفاظٍ ومعناها
وأَشْرِعي سفنَ الإجلال عاطرةً ... بِاسْمِ المهيمنِ مجراها ومرساها
وحَلِّقي في سماء الطهرِ إنَّ لنا ... فيه أحاديثَ كم نهفو لبشراها
لدوحةِ البَرَّةِ الحسناءِ وجِهَتُنا ... لننتقي من سماتِ المجدِ أسماها
لا يُذْكَرُ الطهرُ إلا قيلَ عائشةٌ ... رمزٌ له وهو نورٌ في مُحيَّاها
نُجلُّها نُطْرِبُ الدنيا بروعتها ... إذا انبرى بكلامِ السوءِ أشقاها
نُرَتِّلُ الوحيَ صَفْواً عن طهارَتِها ... ولا نبالي بصوتٍ خاسئٍ تاها
تَدَنَّسَت أنفسٌ بالفحشِ وانغمست ... في وَحلِهِ وظلامُ الفكرِ أعماها
حبائلُ الإفكِ والبهتانِ أَبْطلَها البـ ... ـاري ووجهُ الدنايا والردى شاها
كانوا يريدون للبنيان خلخلةً ... وللنبوةِ طعناً في حناياها
فازداد صفُّ الهدى نوراً وتبصرةً ... ونالَ أهلُ النبيِّ العزَّ والجاها
وأسعدَ الوحيُ أرواحاً مُوَحِّدةً ... وأَخرسَ الحقُّ أصواتاً وأفواها
منهاجُ مِلَّتنا الغراءِ حَذَّرَ مِنْ ... بذاءةِ القولِ أيّاً كان مرماها
يسمو عن الزورِ والبهتانِ يَأْنَفُ من ... سفاسفِ القولِ والفحشاءَ يأباها

ما مِنْ فؤادٍ نقيٍّ طاهرٍ عَطِرٍ ... بفاحشِ القولِ في أيِّ امرئٍ فاها
فكيف بالنيلِ من عرضِ النَّبيِّ ومِن ... أَبَرِّ من تعرفُ الدنيا وأتقاها
عقيدةُ المكرِ والأحقادِ منشؤُها ... في الأصل يُنْبِئُ عن فحوى خفاياها
أَعْياهُمُ النيلُ من ذاتِ النبيِّ فهلْ ... من حيلةٍ تَنْطلي فيها نواياها
هي الوقيعةُ في أركانِ دولتِهِ ... وفي أَبَرِّ الورى نصحاً وأصفاها
ماذا سَيُرفعُ من بنيان ملَّتِهِ ... إنْ حَطَّموا مَنْ تَبَنَّاها وَأَعْلاها
لا عِرْضُهُ طاهرٌ لا صَحْبُهُ صُدُقٌ ... فما النبوةُ ماذا كانَ معناها
وصَيَّروا حبَّ آلِ البيتِ ألويةً ... برَّاقةً تخدَعُ الدهماءَ دعواها
مهما تَبَجَّحَ بالأشواقِ ظاهِرُها ... سُمُّ الضغائِنِ يَسْري في ثناياها
لا بارَكَ اللَّهُ في حبِّ دعائِمُهُ ... سَبٌّ وفُحْشٌ وتخوينٌ لقرباها
طَعْنٌ لِأَشْرفِ إنسانٍ بعصمَتِهِ ... حاشاهُ والمِلَّةُ السَّمحاءُ حاشاها
يا خَيْبَةَ المُهَجِ السوداءِ إذْ نَضَحَت ... سوءاً فَأَبْطَلَهُ المولى وَأَخْزاها
دسائِسُ تاهَ في أَدْغالِها أُمَمٌ ... لم يَعقِلُوا سِرَ مَبْناها ومَغْزاها
هذا نِداءٌ مِنْ الأعماقِ أبْعَثُهُ ... لِكُلِّ قَلْبٍ زَكِيٍّ وَحَّدَ اللَّهَ
فَلْيَتَّقِ اللَّهَ في صَحْبِ النبيِّ وَفي ... أَزْواجِهِ وَحُقوقَ الآلَ يرعاها
بَأَيِّ وَجْهٍ سَيَلْقى المصطفى بَشَرٌ ... آذاهُ في زَوْجِهِ زوراً وآذاها
بِأَيِّ لَفْظٍ يُناجيهِ وَفِرْيَتُهُ ... في وَجْهِهِ بَيِّنٌ خُذْلانُ عقباها
وَكَيْفَ يَطْمَعُ قلبٌ في شفاعتِهِ ... وأَعَظَمُ الناسِ قُرباً منهُ يَشْناها
أنا الحُسَيْنِيُ لكنْ ليسَ مِن مثلي ... هذي الخَلائِقُ كَلَّا لستُ أَرْضاها

كانت مَكارِمُ آبائي تَضيقُ بِها ... ذَرْعاً ونحوَ دروبِ الطُّهرِ مَمْشاها
فَآلُ بيتِ النبيِّ الغُرِّ قد بَلَغوا ... في العفوِ والحبِّ والأَخلاقِ أقصاها
لم يَحْفَظِ الدهرُ عَن أخيارِهِم لغةً ... للسُّوءِ كيفَ وَخَيْرُ الناسِ ربَّاها
هذا الإمامُ عليٌّ كان مَحتَرَماً ... لِشَأْنِها وَبأزكى الوَصْفِ ناداها
لِأَنَّهُ المُؤمِنُ البَرُّ التَّقيُّ رَعى ... مكانَها وتَولَّاها وَصافاها
وما مشَى نَحْوَ أَسْواقِ الرَّدى حَسَنٌ ... وَلا حُسَيْنٌ ولا الزهراءُ ترضاها
يا شِيعةَ الآلِ كونوا سادةً نُجُباً ... مُبَرَّئينَ عن الإِسْفافِ أنزاها
يَا مَنْ تُحِبُّونَ آلَ البَيْتِ مَبْدَؤُكُم سَامٍ ... فكُونُوا بِآلِ البَيْتِ أَشْبَاها
هُمْ رحمةٌ هُمْ ضِياءٌ هُم شَذى حَسَبٍ ... مُنَزَّهٍ هُم على الدنيا خُزامَاها
الحقدُ والفحشُ والبهتانَ أوبِئَةٌ ... لا يَلْتقي الطهرُ والتَقْوى وإيَّاها
يا أُمَّ كُلِّ تَقِيٍّ لَنْ يَضِيرَكَ ما ... تَقَحَّمَتْهُ نُفوسٌ خابَ مَسْعاها
يا عائِشَ الطُهرِ والإيمانِ يا مَدَداً ... مِنَ السَّجايا جَلالُ الحقِّ يَغْشاها
تَقَدَّسَ اللَّهُ أَنْ يَرْضَى لِصَفْوَتِهِ ... مِنْ خَلْقِهِ زَوْجَةً للسوءِ مَمْشاها
بَلْ وَارْتَضَى بَيْتَها قبراً لَهُ فَإِلى ... أَعْتابِهِ تَعْشَقُ الأَرواحُ مَسْراها
هُناكَ ذَابَتْ مِنَ الأَشْواقِ أَفْئِدَةٌ ... مِنْ أَمَّةِ الحَقِّ أُخْرَاها وَأُوْلَاها
صِدِّيقَةٌ وَابْنَةُ الصِّدِّيقِ لَيْسَ لَها ... مِنْ مُشَبَّهٍ في الصَّبايا في مَزَاياها
جِبْريلُ أَقْرَأَها مِنْهُ السَّلامَ وَمَا ... أَعَزَّها عِنْدَهُ شَأْناً وَأَحْظَاها
كَمْ مَرَّةٍ جاءَ وَالمُخْتارُ مُلْتَحِفاً ... لِحافَها فَأَنارَ الوَحْيُ مَأْواها
وَقَدْ رَأَى المُصْطَفى رُؤْيا مُبَشِّرةً ... في بَادِئِ الأَمْرِ ثُمَّ اللَّهُ أَمْضاها

أَتـى بِـصـورَتِـهـا جِـبْـريـلُ بـاهِـرَةً    فِي قِطْعَةٍ مِنْ حَريرٍ طابَ مَرْآها

لَمْ يَخْتَرِ اللَّهُ إِلَّا مَنْ لَها خُلُقٌ    زاكٍ لِتَبْلُغَ في الأَمْجادِ أَعْلاها

فَأَشْرَفُ النَّاسِ لَنْ يَرْضَى الإِلَهُ لَهُ    إِلَّا شَريفَةَ أَصْلٍ طَابَ فَرْعَاها

حَـلِيـلَةٌ لِرَسـولِ الـلَّهِ مُـؤْمِـنَـةٌ    زَكِـيَّـةٌ بِـسُـلافِ الـوَحْـيِ غَـذَّاهـا

زَكِـيَّـةُ الـرُّوحِ عُـنْـوانٌ لِسَـلْوَتِـهِ    كَمْ عاشَ يَهْفُولَها شَوْقاً وَيهْوَاها

هِيَ الأَحَبُّ إِلَيْـهِ مِنْ مَباهِجِهِ    تَحْلو اللَّيالِي عَلى أَنْغامِ نَجْواها

يَبُثُّها الحُبَّ عَذْباً وَهِيَ مُفْعَمَةٌ    شَـوْقـاً لِأَجْـمَـلِ أَلْفَـاظٍ وَأَحْـلَاهـا

يَتُوقُ لِلكَأْسِ صَفْواً كُلَّما شَرِبَتْ    مِـنْـهُ وَبِـالـبِـشْـرِ تَـلَقَـاهُ وَيَـلْقَـاهـا

تُضْفِي عَلى بَيْتِها أُنساً تُزَيِّنُهُ    لِزَوْجِـهـا تَـنْثُـرُ الأَطْـيَابَ يُـمـنـاهـا

تَضَمَّخَ المُصطفى طِيباً تُرَجِّلُهُ    وَكَـالـحَـرِيرِ عَـلَى خَدَّيْـهِ كَـفَّـاهـا

أَدِيـبَـةٌ ذَاتُ حِسٍّ مُـرْهَـفٍ وَلَـهـا    مِـنَ الـمَـواهِـبِ أَزْكـاهـا وَأَنْـقـاهـا

يا رَوْعَةَ المُصطفى الهادي يُتِيحُ لَها    وَقْـتـاً تـرَى مَـشْـهَـداً لِلَّهْـوِ سَلَّاهـا

وَحِينَما كانَ مَسْروراً يُسابِقُها    وَيَـنْـثُـرُ الأُنْـسَ أَلْـوانـاً لِمَـرْآهـا

يا سَعْدَها تَتَلَقَّى الوحيَ مِن فَمِهِ    غَضّاً وَتَرْوِي مِنَ الآياتِ أَطْرَاها

يَبوحُ لِلناسِ عَمَّا كانَ يَحْمِلُهُ    مِنْ حُبِّـهـا وَفُـنـونَ الـوُدِّ أَبْـداهـا

وَالنَّاسُ كانت تَحَرَّى يَوْمَ عائشة    حَتَّى تَفِيضُ الأَيادي مِن هَدَاياها

تَـقَـرُّبـاً لِرَسـولِ الـلَّهِ إِذْ عَـلِمُـوا    بِأَنَّ في قَلْبِهِ المَعْصومِ مَأْوَاها

تُـحِـبُّـهُ تَـنْـتَـشِـي شَـوْقـاً لِرُؤْيَـتِـهِ    وَكُلَّما غابَ تَأْبى النَّوْمَ عَيْنَاها

تُضْفي عَلَيْهِ سُروراً بِالرَوائِع مِنْ    حَدِيثِها وَالهَوى يَزْكو بِرُؤْياها

كَم مِن لَيالٍ قَضاها في مُسامَرَةٍ ... لَها وَعَطَّرَ بِالسُلْوانِ دُنْيَاها
هُوَ الذَّي اخْتارَ أَن يَلْقى مَنَّيتَهُ ... في حِجْرِها وَارْتَضى مَثْواهُ مَثْواها
ظَلَّت تُمَرِّضُهُ تَبْكي تَوَجُّعَهُ ... تَرْقِيهِ تَلْقى مِنَ الأَحْزانِ أَقْسَاها
تَبيتُ تَقْضي الليالي وَهِي ساهرةٌ عَلَيهِ ... يَشْكو ضِرامَ الدَّمْعِ خَدَّاها
تَرى أَعَزَّ حَبيبٍ وَهُوَ مُرْتَحِلٌ عَنْها ... فَسُبحانَ مَنْ بِالصَّبْرِ قَوَّاها
فَاضَت على صَدْرِها روحُ النَّبيِّ فَما ... أَجَلَّها عِنْدَهُ قَدْراً وَأَوْلَاها
رُوحانِ عاشا عَلى الإِخلاص وَافْتَرَقا ... عَلى وَفاءٍ وَفي الفِرْدَوْسِ لُقْياها
ظَلَّت عَلى عَهْدِها في الوُدِّ صادِقَةً ... زَكِيَّةً بَرَّةً طَابَت سَجَاياها
تُسْدي فُيوضَ الهُدى وَالعِلمِ رَاوِيَةً ... عَنِ الذَّي طَهَّرَ الدُّنيا وَزَكَّاها
كَأَنَّها الواحةُ الغَنَّاءُ يانِعَةً ... يَزِينُها مِن فُنونِ الزَّهْرِ أَزْهَاها
كَأَنَّها أَنْهُرُ الزُّلالِ فَما ... تَملُّ أَرْواحُ أَهْلِ الذَّوْقِ سُقْياها
مَنْ زَيَّنَ الوَحْيَّ إِلَّا حِفْظُ عائشة ... وَأَيْنَ سُنَّةُ خَيْرِ الخَلْقِ لَوْلاها؟
مَنْ أَطْرَبَ الكَوْنَ بِالقَوْلِ الزُّلالِ وَمَنْ ... جلَّى بِالسَّنَّةِ الحُسْنى خَفَاياها؟
مَنْ عَطَّرَ الأرضَ بالفقهِ النَقِيِّ وَمَن ... أَبانَ أَسْرارَهُ الكُبرى وَجَلَّاها؟
وَمَنْ إِذا استشكلَ الأصحابُ مسألةً ... لَم يَسْكُنِ الفكرُ إِلا عِندَ فتواها؟
مَن عَلَّم المرأَةَ السَّمْتَ الجَميلَ وَما ... يَسمو بِها لِسماءِ الطُّهرِ إِلَّاها؟
مَن كانَ في الجودِ نَبْعاً سائِغاً غَدِقاً ... هَفَت لَهُ المُهَجُ العَطشى فَأَرواها ؟
ما أَصبحت صُرَرُ الأموالِ في يَدِها ... إِلا وَقَد أَنْفَقَتْها قَبْل مَمْساها
اختارتِ اللَّهُ ثُمَّ المصطفى رَضِيت ... عَيْشاً زَهيداً وَصِدْقُ الوُدِ أَغناها

مَن سَطَّرَ المَدْحَ في آلِ النَّبيِّ وفي أَصْهارِهِ ماطَغَى حَرْفٌ ولا تاها

وَفَضْلُ فاطمةَ الزَّهراءَ كَمْ صَدَحَت فيهِ بِأَمْتَعِ أَلْفاظٍ وَأَوْفاها

عَفافُها، سَمْتُها، ما قالَ والِدُها عَنْها، شَمائِلُها الكُبرى وَتَقْواها

هَذي هِيَ الأُمُّ أُمُّ المُؤمنينَ وَما أَسْدَى لَها الواحِدُ الباري وَآتاها

تَظَلُّ كَالبَدْرِ إِشْراقاً وَمَنْزِلةً يُهدى لها مِن فُنونِ القَوْلِ أَسْناها

عَلامَةُ الدَّهرِ بُستانُ العلومِ وَما هَذا سِوى صَفْوِ شَهْدٍ مِن مَزاياها

يَبْقَى شَذَى عِلمِها الزاكي وَعِفَّتُها عِطراً يُجَدِّدُ في الأَرْواحِ ذِكْراها

مَضَت إِلى اللَّهِ في أَثْوابِ حِشْمَتِها وَالطُّهْرُ يَشْدو لَها وَالمَجْدُ ينعْاها

حَبِيبَةُ المُصْطفى بُشْرَى لِمَن صَدَقوا في حُبِّها وَتَولَّوا مَنْ تَوَلَّاها

❊ ❊ ❊

# القصيدة السابعة عشر
# أم المؤمنين عائشة الصديقة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

**للدكتور معتصم الحريري**

*ترجمته:*

ولد عام ١٩٧٦م وتخرج من جامعة الزرقاء الأهليه في الأردن تخصص التحاليل الطبية عام ٢٠٠٠م يعيش حالياً في مدينة أبها بالمملكة العربية السعودية .

له ديوان واحد (أحزان الربيع) صدر عام ٢٠٠١م.

وله العديد من المشاركات في عدد من الصحف والمواقع في الشبكة والمهرجانات الإنشادية والأمسيات الشعرية.

قدم عدداً من القصائد المختلفة في ظروف وأحداث اجتاحت الأمه مثل: الانتفاضة الفلسطينية واستشهاد الشيخ أحمد ياسين.

كتب معظم قصائد شريط خير القرون الإنشادي الذي أصدرته مبرة الآل والأصحاب ثم أصدرته المبرة في كتيب مع شرح الأبيات الوارده فيه وقد احتوت أشعاره على مدح للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وأعلام آل البيت والصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ جميعاً.

## أم المؤمنين عائشة الصِّديقة

د. معتصم الحريري

هِيَ الحَبيبةُ والمُخْتَارُ صَاحِبُها ... وفي السّمَاءِ عَلَتْ طُهْراً وتَنزيها

على الحَريرِ أتى جِبريلُ يَحمِلُها ... إلى الرّسولِ منَ الرّحْمنِ يُهْديِها

بَحرٌ منَ العِلمِ لا تُحْصَى شَواطِئُهُ ... والفِقْهُ إنْ فاضَ يَجْري في سَواقِيها

مَنْ مِثْلُ عائِشة في الفَضْلِ يُدرِكُها ... مِنَ النِّساءِ وتَرْقَى في مَراقِيهَا

بِكْرٌ مُطهّرَةٌ - اللَّهُ بَرَّأها ... مِنْ فَوْقِ سَبْعٍ وَعَادَى مَنْ يُعادِيها

والوَحيُ يَنْزِلُ بالآياتِ يَقرَؤُها ... عَلى فِراشٍ مَعَ المُخْتارِ يُؤْوِيهَا

مَا غَرَّها زُخْرُفُ الدُّنيا وزِينَتُهَا ... واخْتارَتِ اللَّهَ والمَبعوثَ هَادِيهَا

واللَّهُ لِلناسِ وَالإسْلَامِ بَارَكَها ... وفي التَّيَمُّمِ فَضْلُ اليُسْرِ يَكْفِيهَا

حُبُّ الرَّسولِ قَرينٌ في مَحبَّتِها ... ونِصْفُ أَخْبارِهِ في الدِّينِ تَروِيها

وَمَاتَ في حِجْرِهَا والقَبْرُ حُجْرَتُهَا ... وَآخرُ العَهْدِ في الدُّنيا مَآقِيهَا

طُوبَى لَها زَوجَةِ الدَّاريْنِ مسْكَنُها ... بِجَنةِ الخُلدِ مِنْ أَزواجِهِ فِيها

❋ ❋ ❋

## القصيدة الثامنة عشر

## مبَّرأة السماء

للشاعر/ عبده بن علي الفيفي

أَعَلَى عُرَى الأخلاقِ يجتمعانِ ... عَفُّ اللسانِ وباعثُ الْبُهْتانِ؟!

شتَّان بين موقِّرٍ لنبيهِ ... في عرضِه والناكثِ الخوَّانِ

أمَّاهُ يا حبَّ النَّبِي وعرضَهُ ... لا ضِيمَ طَرْفُ مُعَذَّبِ الأجفانِ

لم يبقَ منّا مؤمنٌ لم يصطلِ ... شرقُ الدُّنَى والغربُ ينتفضانِ

غارت على عِرْض النبيِّ جحافلٌ ... أيلومُهم إلَّا ذوو الطُّغيانِ؟

مَا صامَ يومَ الدّفع منّا ناطقٌ ... والنَّفسُ يقتُلها فحيحُ الجَانِي

قد نَبْتغي موتاً على كَفِّ العِدَا ... عِزًّا ولكن لا نَنِي لِجَبَانِ

ونُذِلُّ بالإيثارِ شُمَّ أنوفنا ... خَفْرًا لِذِمَّةِ مُستَجيرٍ وَانِ

عَرَبًا عرفنا الحُكم حين شفى بنا الْ ... قَهَّارُ دَاءَ الفُرْسِ والرومانِ

ما اختارنَا الرحمنُ حولَ رِحابِه ... لِنُقِيمَ أجداثًا على أضغَان

أُمَّاهُ - والعبراتُ كالجَمَراتِ - لا ... سَلِمَتْ أنوفٌ أذعنتْ لهوانِ

لا بشَّرَ اللَّهُ الحسودَ بنعمةٍ ... كلَّا ولا رُدَّتْ إليهِ يدَانِ

ينهاهُ طهرُكِ والنبيُّ وآلُهُ ... والوحيُ ثم يثوبُ للشيطانِ

متولِّيًا كِبْرَ الكَذُوب فويْحَهُ ... طَلَبَ الجنانَ بِمَسلكِ النيرانِ

يـا حـسـرةَ الأفَّـاكِ مـا بِـعِـقَـالِهِ شُدَّتْ سوى خِرَقٌ على هَذَيانِ
غطَّى بها عجْزَ الحِجَى مُتَعالِمًا فَـرَعَـتْ غُـثَـاءَ الْحِـقْـدِ والْبُـطـلان
أُمَّـاهُ يَـهْـنِـيـكِ افـتـضـاحُ عَـدوّنـا وكـفـاكِ نَـصـراً مُـحـكَـمُ الـقـرآنِ
الـوالـغـون الـمـقْـذِعُـونَ هُـمُ الأذى وَلأَنـتِ - يا صدِّيقَةُ - الطُّهرانِ
أَهنا بِكِ الْرَّحمنُ قَلْبَ «محمَّدٍ» تَـالـلَّـهِ مَـا ضِـدَّانِ يـأتـلفـانِ
نـورٌ إلـى طُـهْـرٍ يـحـنُّ وأيُّـمـا نـبـأٍ سَـرَى شَـرُفَـتْ بِـكِ الأُذُنَـانِ
بِكِ لا بأقوالِ الدَّعِيِّ تشرَّفتْ وعـلـيـكِ لا يـتـنـازعُ الْقَـمَـرَانِ
فضحتْ براءَتُكِ الشكوكَ فَأَدْبَرَتْ ظُـلَـمًـا وَأنـتِ مـنـارةُ الإيـمـانِ
وتـهـلَّـلَتْ عَـيـنـاكِ بِـشـرًا فـالْمُـنـى لا تُـنْـكِـرَنَّ وفـودَهـا عـيـنـانِ
فالصُّبْحُ لا كالصبحِ عندَ حَلِيلَةٍ أَطْـيـارُهُ والـوحـيُ يـعْـتـنِـقَـانِ
والـروضـةُ الـغـنَّـاءُ مِـلْءُ رحـابِـهـا ذِكْـرٌ يـرفـرفُ حـولَهُ مـلَكَـانِ
سَلْ في المدينة كُلَّ بيتٍ عنْهُمَا هلْ باتَ مثلَ ودَادِهِمْ زوجَانِ؟
غرَسَا على وجْهِ الزمانِ سُرُورَهُ يـا سُـعْـدَهُ إذْ خُـصَّ مـن أزمـانِ
فـكـأنّـمـا مَـرُّ الـنـسـيـمِ وطَـرْقُـهُ بـالْبـابِ سَـجْـعُ الـطـيـرِ بـالأفْـنَـانِ
في روضةِ الجناتِ نازعَهَا البَلا والـمـبـتلَى الـمـشـمـولُ بـالـرِّضـوانِ
يُـبـلى الـنـبـيُّ وخـيـرةٌ مـن بـعـدِه ويُـغَـرُّ بـاقـي الـخـلقِ بـالإحـسـانِ
من نالَ حُبَّ اللَّه - يومًا - يُبْتلَى وضـعـيـفُ إيـمـانٍ يَـرَى الـحـدثـانِ
هَيْهَاتَ تَبْقى بَعدَنَا الدُّنْيا ولم تـأخُـذْ نَـصِـيـبَ الـظُّـفـرِ والأسـنـانِ

فتميلُ ضرَّاءُ البَلا وزناً ويا أسفاً على السرَّاءِ في الميزَانِ
رُحماكَ - ربِّي - مَا لنا إيمانُهُمْ كَلَّا ولا نقْوَى عَلى الأَحْزانِ
أيقظْ خِفَافَ العقلِ من سَكَرَاتِهِمْ واغفِرْ عظيمَ الذنبِ والْهُجرَانِ
ما كنتُ في صمتِ الْمُريبِ مُصَفَّدًا كَلّا ولا سَارَعْتُ في بُهتانِ
مُذْ لامستْ قلبي الشفيفَ براءةٌ تُتْلَى بِآيِ «النُّورِ» عِبْتُ بياني
وَتَضَعْضَعَتْ أوزانُ شعريَ بعدَها فبأيِّ تبيانٍ يفيضُ لساني
رَبَّاهُ إني قَدْ برِئْتُ فبرِّئَنْ قلَمَيَّ مِنْ عِيٍّ ومنْ إذعانِ
وارفعْ بيارقنَا على منْ أرجفُوا مَا أَقبحَ استِنْسَارَةَ البُغثانِ
لولا «أبا حسنٍ» توارَى نالهمْ من سيفهِ البتّارِ حَرْبُ الجاني
قد كان نِعْمَ الهدْيِ حينَ دعَاهُمُ فشرَوا أذاهُ بأبخسِ الأثمانِ
ونَمَوا إليه الزورَ ما شبعتْ لهمْ بطَنٌ ولا أرواهمُ النهرانِ
قالوا: «عليٌّ» قلتُ: حاشا إنّمَا طُهْرٌ نما من طُهْرِهِ «الحسنانِ»
قالوا: و«فاطمةٌ» فقلتُ: أجِيرُهَا أترونها لهجَتْ بفُحْشِ لسانٍ؟!
بنتُ الرسولِ وبضعةٌ من رُوحِهِ وفؤادُها مِن سورةِ «الفُرقانِ»
أجعلتموها سُبَّةً لخيارِكُمْ؟ تاللَّهِ ما بخيارِكُمْ منْ شَاني
لا والَّذِي جَعَلَ السيادةَ فيهمُ ما السادةُ الأحبابُ باللُّعَّانِ
عُودُوا إلى أخلاقِ «أهلِ البيتِ» لَنْ تجدوا سِوى التوقيرِ والإحسانِ
واسترشِدوا الأشياخَ من عُقلائكمْ رَتْقُ انفتاقِ الجمعِ بالأعيانِ

قدْ شَقَّ صفَّ الأمةِ اللَّاغُونُ حَتَّى ... عَـاث بـالأزمـانِ شـرُّ مَـكـانِ

نَهض الدَّعيُّ به فبئسَ مقامه ... ولبئسَ ما يجني على الأوطانِ

تُلْجِيْهِ «مَاسُونٌ» وتجمَعُ حَولَهُ ... مـنْ كـلِّ مـنـبُـوذٍ وشَـرِّ مُـدانِ

يَثِبُونَ بِالتاريخِ منْ أطرافِهِ ... يـتـتـبَّـعُـونَ مَـزَالِقَ الـشَّـنَـآنِ

ودُعاتُهم أنصافُهُمْ واحَسْرَتَا ... تَـئِدُ الـعُـقـولَ حَدَاثةُ الأسْـنـانِ

لِلأمـةِ الـثـكْـلى جِـراحٌ غـضَّـةٌ ... ولـفِـتـنـةِ الـتفـريـقِ ألـفُ سِنَانِ

فَـبِـأَيِّ ثَـائِرةٍ تُـرَاقُ دمـاؤنـا ... ولأيِّ حـربٍ يُـجْـمَـعُ الأَخَـوَانِ

عَوْداً إلى هدي الرسولِ «محمدٍ» ... عَـفِّ الـحـديـثِ مُـنَـزَّهِ الأرْدان

جمَعَ الرحيمُ به النفوسَ عَلَى الهُدَى ... صَـفًّـا فـكَـانـوا أوثـقَ الـبـنـيـانِ

فجَلَوا غُبَار العقلِ في صَلَواتهم ... حتى كـأنَّ الـغيـبَ رهـنُ عـيـانِ

وَتَرَاحَمُوا حَتَّى سَمَتْ أَخْبَارُهُم ... مَا ذَابَ مثْلُ حدِيثهمْ بِجَنانِ

وَتنَزَّهَتْ أخلاقهُمْ عنْ فاحشٍ ... مـتـخَـلِّعٍ أو فـاسـقٍ طَـعَّـانِ

فكأنَّما جَهْلُ السَّفِيهِ مَنَاكِرٌ ... وكَـأَنَّـمَـا صَـفْـحُ الْكَـريـمِ مثَـانِي

وكأَنَّهُمْ في الفتنةِ الأقسى يدٌ ... شُدَّتْ بأجْمعِهَا علَى الأذْقانِ

عَادُوا وَأنْفُسُهُمْ تَذُوبُ مَدَامِعًا ... والْخِـلُّ يـأسُـو عـبْـرَةَ الْخُـلَّانِ

إنْ تِـلْكَ إلا أُمَّـةٌ مِـنَّـا خَـلَتْ ... وحِـسَـابُـهُـم فـي ذِمَّـةِ الـدَّيَّـانِ

تنْحو بخيرِ فِعَالِهِمْ أفعالُنا ... ونَرى بِحُسْنِ الظَّنِّ كلَّ الشانِ

إن كـانَ ربـي اخـتـارَهُـمْ لِنبـيِّـهِ ... صَحْبًا، فنِعْمَ تَخَيُّر الرَّحمنِ

وَإِنِ اصْطَفَى أَزْواجَهُ وحْيًا، فهل في آخرِ الأزمانِ وحيٌ ثانِ؟!!

يَهواكِ أُمَّ المُؤمنينَ النورُ، والْ فُجَّارُ تهواهُمْ يدُ الشَّيطانِ

دونَ النَّبيِّ وعِرْضِهِ أرْواحُنا وفِدَاهُما طُولَ المدَى الثَّقَلانِ

❊ ❊ ❊

## غيض من فيض ديوان الدفاع

وفيما يلي أستعرض بعجالة ما وصلني من قصائد في الدفاع عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، مع التنويه بأن بعض هذه القصائد قد كتبت بعد حادثة الإساءة إلى أم المؤمنين رضي الله عنها ممن نال عرضها الشريف وأساء إليها، وقد استبعدت من هذه القصائد ما اشتمل على السب والشتم والهجاء المقذع لأنه يفقد الشاعرية بريقها ويتدنَّى بمستوى الإبداع، ثم إنني لم يكن مقصدي من هذا الكتاب إلا بيان أثر حديث الإفك هذا الفصل المهم من حياة المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم وحياة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وحياة المجتمع الإسلامي بأكمله آنذاك في الشعر العربي، وقد وجدت بغيتي فيما وجدت من قصائد وفيما وصلني من الأحباب[١].

* من «نونية القحطاني» في الذب عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قول أبي محمد عبد اللَّه بن محمد الأندلسي القطحاني:

**وَأَبو الـمُـطَـهَّـرَةِ الَّتي تَـنْـزيـهُـهَـا ... قَدْ جَاءَنا في النورِ وَالفُرقانِ**

**أَكْرِمْ بِعَائِشَةَ الرضى مِنْ حُرَّةٍ ... بِـكْـرٍ مُـطَـهَّـرَةِ الإزارِ حَـصـانِ**

**هي زَوجُ خَـيْـرِ الأَنْـبـيـاءِ وَبِـكْـرُهُ ... وَعَـروسُـهُ مِـنْ جُـمْـلَـةِ الـنِّـسْـوانِ**

**هِي عِرْسُهُ هي أُنْسُهُ هي إِلْفُهُ ... هَـي حِـبُّـهُ صِـدْقـاً بِـلا أَدْهـانِ**

**أَوَلَيْسَ والِدُها يُصافي بَعْلَها ... وَهُـمـا بِـروحِ الـلَّـهِ مُـؤتَـلِـفـانِ؟**

---

(١) زودتني مبرة الآل والأصحاب مشكورة بمجموعة طيبة من القصائد لكي أختار منها ما يناسب هذا الكتاب.

وقال الشاعر عاصم بن الحسن الأديب:

**وحقِّ من بعلُها النبيُّ ومن — والدُها المرتضى أبو بكرِ**

**لا حلتُ عن مدحتي لها أبداً — حتى أوارى ظلمة القبرِ**

**وقد تيقنتُ أنّ والدَها — يشفع لي في صيحة الحشرِ**

**طاهرةٌ تنتمي إلى نسب — شرفه اللَّه منه بالفخرِ**

**لمّا رَمَوا لادَرَّ دَرُّهم — بالإفك والزور عصبة الشرِ**

**برَّأها اللَّه من مقالتهم — بغير شك في محكم الذكرِ**

**وكم لها من فضيلة نطقتْ — بها وذكرٍ يبقى على الدهرِ**

**قالتْ تَوَفَّىٰ النبيَّ خالقُهُ — ما بين سحري وملتقى نَحْري**

**فلا رعى اللَّهُ من تَنَقَّصها — فماله في المعاد من عذرِ**

**وأي عذر لمبدعٍ رِجْسٍ — مذهبُهُ شتمُ زوجةِ الطهرِ**

*** قصيدة في محراب أمنا عائشة:**

للدكتور عثمان قدري مكانسي، شاعر سوري ولد في عام ١٩٤٧م، حصل على الدكتوراة من معهد الاستشراق بأذربيجان، عمل بداية في مدارس حلب، ثم مدرساً في الجزائر، وأخيراً في الأمارات العربية المتحدة، من إنتاجه الأدبي: (نبضات قلب/ ١٩٨٦) و(وميض قلب)[١] اخترت من قصيدته في أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قوله:

**وأمُّنا عائشةٌ رمزُ التُّقى — والشَّرَفِ الرَّفيعِ والطَّهُورِ**

(١) معجم الأدباء الإسلاميين (٢/ ٨٣٨) دار الضياء.

مَـثِـيـلةُ الـصـدِّيـقِ فـي نـقـائِه ... دُرٌّ مَصُونٌ في حِمَى البَشيرِ

حبيبةُ الحَبيبِ، في خِبائهِ ... قد رَوِيَتْ من عذبهِ النَّميرِ

طهَّرها المَولى فكانتْ عَلَماً ... في سُورةٍ تُتْلَى على الدُّهورِ

مَن نالَها في إفكِهِ فقدْ هوَى ... في وَهْدةِ العذابِ والتَّحقِيرِ

يبُوءُ بالخِزي الذَّميمِ خالِداً ... كابنِ سَلُولٍ في لَظَى السَّعيرِ

فالطَّيبُونَ مثلُهُمْ نساؤهمْ ... مَنْ مِثلُ طه في السَّنَا والنورِ؟

ولن يَضيرَ شَمسَنا ذُبابةٌ ... طنَّتْ بُخبثٍ في عمَى الدَّيجُورِ

فالحقُّ باقٍ ثابتٌ، وَأصلُهُ ... يمتدُّ في الأعمَاقِ والجُذورِ

وَيرتقِي نحْوَ السَّماواتِ العُلا ... تَحُوطهُ الأَملاكُ بالتَّكبيرِ

نَفسِي فِداءُ أمِّنا عائشةٍ ... وَنفْسُ كُلِّ مؤمنٍ غَيُورِ

ما زادَها جَهلُ الجَهُول فِيها ... غَيْرَ الضِّياءِ السَّاطعِ البَهِيرِ

وإفكُ شانيها دَليلُ خُبثهِ ... وَالخُبثُ غِلُّ الفاسقِ الغَرِيرِ

والذَّهبُ الإبريزُ يَبقى غالياً ... مهما اكتَوى مِن حاقدٍ حقيرِ

يا أُمَّنا، كفاكِ فخراً سَامِقاً ... حبُّ النَّبيِّ الواضح الكبيرِ

❊ ❊ ❊

* من قصيدة (يوم عائشة) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا للشاعر محمد الغرباوي: شاعر مصري ولد عام ١٩٦١، حفظ القرآن صغيراً، وهو حاصل على الدكتوراة في الأدب والنقد من كلية اللغة العربية من جامعة الأزهر، درَّس الأدب في جامعة الأزهر وجامعة الملك سعود بالسعودية، من إنتاجه الأدبي «ديوان البلابل تأكلها البوم»، و«ديوان عودة شادي»، و«ديوان عودة الأقصى»، اخترت من قصيدته قوله:

أَعَائِشُ فَاخِرِي الدُّرَّ الْمَصُونَا ... بِأَنَّكِ تُطْلَبِينَ هَوًى وَدِينَا
وَلَيْسَ الدُّرُّ مَهْمَا ازْدَدْتَ مِنْهُ ... لِيَنْفَعَ فِي مَعَادِ الصَّالِحِينَا
أَعَائِشُ ضَرَّ عَيْنَ الشَّمْسِ يَوْماً ... مَلامَةُ مَنْ قَدِ افْتَقَدَ الْعُيُونَا؟!
وَيَسْقِي الْغَيْثُ عَطْشَى الْأَرْضِ رِيًّا ... وَلَمْ يَعْبَأْ بِهَاجِرِهِ هَتُونَا
إِذَا مَا الْمُفْتَرُونَ رَمَوْكِ حِقْداً ... فَقَدْ هُدِمَتْ عِمَادُ الْمُسْلِمِينَا
وَقَدْ رِيمَ الْعَفَافُ فَلَنْ تَرَاهُ ... يَرُوجُ بِهَذِهِ الدُّنْيَا ثَمِينَا
أَبَيْتَ الطُّهْرِ يَا بِنْتَ الْأَعَالِي ... مَتَى يَجْنِي الَّذِي يَقْلِيكِ دِينَا؟!
وَلَيْسَ هُنَاكَ بَعْدَ اللَّهِ عَدْلٌ ... تَرَى بِقَضَائِهِ الْفَصْلَ الْمُبِينَا
وَقَدْ أَعْلَاكِ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَا ... بِقُرْآنٍ تَلاهُ الْعَالَمُونَا
فَقَرِّي أُمَّنَا عَيْناً وَرُوحاً ... وَلَا يَحْزُنْكِ هَزْلُ الْمُرْجِفِينَا
لَئِنْ لَمْ يَنْتَهُوا سَيَجِيءُ رَبِّي ... بِرِجْزٍ مِثْلِ رِجْزِ الْغَابِرِينَا
وَلَوْ أَنَّ ابْنَةَ الصِّدِّيقِ خَانَتْ ... فَمَا مِنْ طَاهِرٍ تَلْقَاهُ فِينَا
وَلَوْ أَنَّ الْمُصِيبَةَ فِيكِ قَصْداً ... وَلَكِنْ يَمَّمُوا الْهَادِي الْأَمِينَا

* * *

* وتحت عنوان يا ناطحاً جبل العفاف كفاكا، قال الشاعر زكريا النواري الفاخري قصيدة جيدة في الدفاع عن أم المؤمنين رضي الله عنها اخترت منها:

**يا نَهرَ شِعري، مَا الذي أَجْرَاكا بَعْد انقِطَاعِ البَوحِ عَن مَرْسَاكا؟**

**قد كُنتُ أَحسبُ أَنَّ كُلَّ سفائني غَرْقَى، فَلَنْ تشدُوا إلى لُقيَاكا!**

**فَجَّرتَ في أَرضِ الحُروفِ مَشَاعِراً فَمَنِ الذي بعدَ الغِيابِ دَعَاكا؟!**

**وَسقيْتَ مِن حَقلِ القلوبِ بَراعِماً لَولاكَ قدْ ظَمِئَتْ جَوًى.. لَوْلاكا**

**فَأجابَنِي قَلميْ بِفَيضِ عَواطِفٍ: أَنا مَا كَتبتُ الشِّعرَ عَن دُنيَاكا**

**أَنا ما كَتبتُ لكَي أُمجِّدَ طاغِياً حَاشاكَ - يَا قَلَمَ العُلا - حَاشَاكَا**

**يَاربِّ، عطِّرْ لي حُروفيَ بِالرِّضَا مَا ضلَّ مَن يسعَى لِنَيلِ رِضاكا**

**أنا قدْ أتيتُ لكي أُبَرِّئَ ذِمَّتِي خُذْهَا حُروفي كَي تُنيرَ سَمَاكا**

**لِتسطِّرَ الأَبياتَ في ذِكرِ الهُدَى وَلِتستَجيبَ لِصَوتِ مَن نَاداكا**

**تِلكَ الحَصَانُ، فَيَا مَكارِمُ غرِّدي فَوقَ السَّحابِ. فَمَن يَضِيرُ عُلاكا؟**

**هِيَ أَمُّ كُلِّ المُؤمنينَ جَميعِهِم نَصُّ الكِتابِ، فَمنْ سَيُنكِرُ ذَاكا؟!**

**وَاللَّهِ لَو خَلَطَتْ بِسِيرَتها الدُّجَى لَتلألَأتْ لِتُنوِّرَ الأَفلَاكا**

**واللَّهِ لو مُزِجَتْ بِمِلحِ بِحَارِنا لَشَربتَهُ عَذْباً يُعَطِّرُ فَاكا**

**هِيَ قِمَّةُ الأخلاقِ في جَبَلِ الهُدَى يَا ناطِحاً جَبَل العَفافِ، كَفَاكا!**

**اللَّهُ طَهَّرَها، وَأنزلَ سُورةً أَكَفَرْتَ بالقُرآنِ حِينَ أتاكا؟**

**وَاللَّهُ أعلَى شَأنَها وَمَقامَهَا اللَّهُ بَرَّأها وَما بَرَّاكا!**

**جَدَّدتُم قَولَ اليهودِ بِمَريَمٍ وَهَلِ اليَهُودُ المُفتَرُونَ سِوَاكا؟!**

إلى أن قال في ختامها:

**يا أيُّها القِرطاسُ، سطِّرْ سِيرَةً ... عنْ عَائشٍ، ومُخضِّباً يُمْناكا**

**أُنثرْ رَبِيعاً في خَريفِ غُصونِهِمْ ... أَشعِلْ لهُمْ شَمْعَ الهُدَى بِسَناكا**

**ازرَعْ وُروداً في مَشاتِلِ حِقدِهِمْ ... لَن يَحصُدَ الباغِي سِوَى الأَشوَاكا**

* وينسجم مع معنى القصيدة السابقة الشاعر محمود النبهاني، ويعبر عن ذات الغرض النبيل وهو الدفاع عن أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا في قصيدته «القول اليقين في الدفاع عن أم المؤمنين»:

**هَام الفُؤَاد بِصَفحَتِي مُتَودِّدا ... وَبِحُب أم المُؤْمِنِين مُجَدِّدَا**

**فِي ذِكْرِ عَائِشَةَ الكَرِيْمَة جِئتُكُم ... أُبْدي المَحَبَّة أَسْتَثِير المَقصِدَا**

**هِي أُمُّ مَن كَان الرَّسُولُ حَبِيْبَهُ ... هِي أُمُّ مَن فِي الدِّيْن كَان مُوَحِّدا**

**هِي أُمُّ كُل المُؤمِنِين، وَحُبُّهَا ... فَرضٌ عَلَيْنَا فِي الْهِدَايَة حُدِّدَا**

**فَهِي الحُمَيرَاءُ الطَّهُور، وَعِرْضُهَا ... مِن عِرْض خَيْر الْخَلقِ فِيْنَا أَحْمَدَا**

**وَهِي الْمُبَرَّأَةُ الشَّرِيْفَةُ بَعْدَمَا ... طَالَت لِسانُ الإِفْكِ، جَاوَزَت الْمَدَى**

**مِن فَوْقِ سَبْعِ جَاءَت الْبُشْرَى وَقد ... زُهِقَت أَبَاطِيلٌ، وَحَقٌّ قَد بَدَا**

**نَقلتْ لَنَا أَخْلاقَ سَيِّدِنَا وَقَدْ ... قَالَت هُوَ الْقُرْآنُ نُورٌ يُقْتَدَى**

**هِي ابْنَة الْصِّدِّيقِ سَيِّدِنَا أَبِي ... بَكْرِ الَّذِي صَحِبَ الْرَّسُولَ مُحَمَّدا**

**فِي الْغَارِ، بَعْدَ تَجَمُّعِ الْكُفَّارِ كَيْ ... يَقْضُوْا عَلَيْه، فَلَمْ يُبَالِي بِالعِدَا**

**مَن ذَا يَقُوْل بِبغضِهَا وَبِهَجْرِهَا ... فِي دِيْنِه قَد قَالَ قَوْلًا أَجْرَدَا**

**جَمَع الرِّوَايَاتِ الضَّعيفةَ، بَيْنَمَا ... أَضْحَى بِسِيرَة عِزِّهَا مُتَصَيِّدا**

وَلَقَد عَمَاهُ الحِقْدُ بَعْدَ ضَلالِه ... مَا لِلحَقُودِ بِحقدِهِ أَن يَصْمُدَا
فَاللَّهُ يُظْهِرُ دِيْنَهُ لِعِبَادِهِ ... وَنَرَى الضَّلالَةَ بَيْنَهُم ضَاعَتْ سُدَى
يَارَب، جَمِّعْنَا مَع المُخْتَارِ وَال ... أَخْيَارِ مِن سَادَاتِ أَقْوَامِ الْهُدَى
وَانْصُر عِبَادَك أَولِيَاءَ اللَّهِ فِي ... تِبيَانِهِم لِلحَقِ وَاجْعَلْهُم يَدَا
وَاهْلِكْ أُنَاساً قَد تَعَدَّى قَوْلهُم ... فُجْراً، وَصَالُوا فِي الضَّلالِ تَمَرُّدَا
وَتَنَاقَلُوا عِرضَ الرَّسُولِ بقَولِهِم ... وَغثَاؤهُم لِلإِثْمِ صَار مُرَدِّدا
هَذَا كَلامِي قُلتُه مُتَقَرِّباً ... للَّهِ فِي مَدْحِي لأُمٍّ تُفْتَدَى
لَم أُوْفِهَا حَقَّ المَدِيْح، فَهَل لَكُم ... مِن غَيْرَة العَبْدِ الفَقِيرِ لَكُم صَدَى؟

* وللشيخ الشاعر خير الدين وانلي قصيدة أسماها عائشة أم المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، هي أقرب إلى المنظومة منها إلى القصيدة اخترت منها قوله:

حَيُوا ابْنَةَ الصِّدِّيْقِ أُمَّ المؤمنينْ ... مَحبوبةَ المختارِ، فُضْلى العالمينْ
كانَتْ - لَعَمْرُ اللَّهِ - أغلى زوجةٍ ... عند النَّبيِّ المصطفى الراعي الأمينْ
مَن مِثْلُها في عِلْمِها أو فقهها؟ ... مَن مثلُها في حِفظها النُّورَ المُبينْ؟
يا أُمَّ عبدِ اللَّه، طبْتِ حَلِيلةً ... باللُّطْفِ تستَهوِينَ خَيرَ المُرسَلينْ
كنتِ الأثيرةَ عندهُ؛ لنضارةٍ ... وتفتُّحٍ وتَلَفُّتٍ لِلبائسينْ
إنْ كنتِ قد أبدَيتِ يوماً غَيرةً ... فمُحمَّدٌ أَوْلى بها في كُلِّ حِينْ
مَن يُحرِزِ الدُّرَّ الثَّمينَ يَكُنْ بِهِ ... حقًّا ضنيناً؛ حبَّذا الدُّرُّ الثَّمينْ
عانَيتِ ضَنْكَ العيشِ ذُقتِ مَرارَهُ ... لَمْ تعبثي يوماً بِمالِ المُسلِمينْ
والمالُ عِندَكِ - لو أَرَدْتِ - مُقَنطرٌ ... بل كنتِ فيهِ قُدوةً لِلزاهدينْ

وصبَرْتِ يومَ الإفْكِ صَبْرَ عَفِيفةٍ ... لمْ تقطعِ الآمالَ مِن ربٍّ مُعِينْ
حتَّى أَتَتْكِ مِن السَّماءِ بَراءَةٌ ... فالطَّيِّباتُ حَلائلٌ للطَّيبينْ
مَن جاء بالإفكِ الأثيم: جزاؤهُ ... جَلْدٌ ورَدُّ شهادةٍ في الشَّاهِدينْ
فإشاعةُ الفَحشاءِ أَسْوَأُ خَلَّةٍ ... واللَّهُ لا يَرضى عَن المُسْتَفحِشين
اللَّهُ طهَّرَ آل بيتِ المُصطفَى ... مِن كلِّ رجْسٍ؛ أُسْوةً للطَّاهِرينْ

- وللنساء مشاركة في الدفاع عن أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وأرى أن المرأة لو شاركت بفاعلية أكبر في هذا المضمار لقدمت قصائد هي نجوم لامعة في سماء الأدب وأدنى تأمل لقصيدة الشاعرة عفيفة الحصني رحمها اللَّه كاف في الاقتناع بدور المرأة في هذه الإضافة الإبداعية؛ لأنها امرأة وهي أدرى بشعور معاناة المرأة ومرارة اتهامها في عرضها، وإليك بعض القصائد النسائية: -

قصيدة: (عز الأمومة.. الصديقة بنت الصديق) للشاعرة فدوى محمد جاموس:

أُمِّيْ، وأمُّ أَبِي وجَدِّي، وَالجُدودِ الغَابرينْ ... أمُّ الصَّحابةِ كلِّهِمْ، وَبَنيهِمُ والتَّابعِينْ
قد عَزَّ مَن آلَتْ بُنوَّتهُ لأمِّ المُؤمنينْ ... هِيَ أمُّنا، زوجُ النَّبيِّ الصَّادقِ البَرِّ الأَمينْ
أمٌّ إلى يوم القيامةِ للأُباةِ الصَّادِقينْ ... صِدِّيقةٌ هيَ، وابنةُ الصِّدِّيقِ فَخرِ العَالَمينْ
هيَ فَخرُ؟! مَن نُسِبُوا إلَيها مِن بَناتٍ أوْ بَنِينْ ... الحُرَّةُ الشَّمَّاءُ، عِزُّ الخَلقِ، في خُلُقٍ وَدِينْ
اللَّهُ طَهَّرَ ثَوبَها، مِن كلِّ بادِرةٍ تَشِينْ ... وَلَها الكَرامةُ وَالسُّموُ بِرَغم كَيدِ الحَاقِدينْ

- وتحت عنوان: (روحي فداك) قالت الشاعرة سلوى عصام قصيدة جيدة

في الدفاع عن أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا اخترت منها:

أنتِ العُلا والنجمةُ الشمَّاءُ قد نِلتِ ما لَم تُدرِكِ الجوزاءُ
يا زوجَ خيرِ العالمينَ سجيَّةً عشقَتهُ أرضٌ واصطفَتهُ سَماءُ
حبُّ الرسولِ على جَبينكِ شامةٌ والسيرةُ الغرَّاءُ مِنكِ تُضاءُ
الطُّهر أنتِ فهل هنالكَ منكِرٌ مِن بعد ما قال الإلهُ - براءُ-؟
كلَّا وويلٌ للذينَ تخرَّصوا همْ للحقيقةِ والهدى أعداءُ

إلى أن قالت:

كذَبوا الإلهَ، وأنقصوا في قدرِهِ ذكَروا النَّبيَّ وصحبَهُ فأساؤوا
ماذا يضيركِ - يا حبيبةُ -؟ إنَّهم أقذارُ فاحتْ ريحهمْ نَكراءُ
ماذا يضيرُ النجمَ في عَليائهِ نَبحٌ بغِيضٌ في الثَّرى وعُواءُ
سِيئَتْ وجوهُ المرجفِينَ، وقطِّعتْ أيدي النِّفاقِ، وأُخرسَ الجبناءُ
سَيَدُكُّ نورُ الحقِّ إفكَ ضلالِهمْ وتُسامُ ذلّاً ملةٌ شوهاءُ
يا حبَّ، أم المؤمنينَ بمهجتي روضٌ بذكركِ عاطرٌ وثناءُ
روحي فداكِ، فلستُ أرضى بالَّذي يؤذيكِ.. دُونَكِ أَنفسٌ ودماءُ

* * *

## المراجع

١- آفاق جديدة في الأدب لأنور الجندي مكتبة الأنجلو - القاهرة.
٢- أبو بكر الصديق لعلي الطنطاوي دار المنارة للنشر والتوزيع ط الثالثة.
٣- الإجابة لايراد ما استدركته عائشة على الصحابة للإمام بدر الدين الزركشي المكتب الإسلامي/ بيروت ط. الثالثة ١٩٨٠م.
٤- أدب الخلفاء الراشدين للدكتور جابر قميحة، دار الكتاب المصري/ القاهرة.
٥- أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض لشهاب الدين المقري التلمساني، صندوق إحياء التراث الإسلامي/ المغرب.
٦- الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر القرطبي، دار الكتب العلمية، بيروت ط الأولى ١٤١٥هـ ١٩٩٥م.
٧- الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسفلاني، دار الكتب العلمية، بيروت ط الأولى ١٤١٥هـ ١٩٩٥م٠,
٨- الأعلام لخير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، ط الرابعة عشر ١٩٩٩م.
٩- الأعلام الشرقية لزكي محمد مجاهد، دار الغرب الإسلامي، بيروت ط الثانية.
١٠- أعلام العراق للألوسي، الدار العربية للموسوعات، بيروت.
١١- أنجم السياسة وقصائد أخرى لعبد اللّه كنون، دار الثقافة، المغرب، ط

الأولى ١٩٨٩م.
١٢- بلاغات النساء لابن طيفور، دار الحداثة، بيروت، ط الأولى ١٩٨٧م.
١٣- بهجة الأسرار ومعدن الأنوار لنور الدين بن يوسف الشطنوفي، دار القلم العربي/ سورية، ط١ ٢٠٠٣م.
١٤- تائية الخطيب لعبد الحميد الخطيب، مكتبة الشقري، السعودية، ط الرابعة ١٤١٩هـ-١٩٩٩م.
١٥- تاريخ الأدب العربي للدكتور عمر فروخ، دار العلم للملايين، بيروت، ط السادسة ١٩٩٢م.
١٦- تاريخ الشعر العربي الحديث للدكتور أحمد قبش، مؤسسة النوري، دمشق.
١٧- تغريدة السيرة النبوية للشيخ محمد عايش عبيد، دار الثراث، القاهرة.
١٨- جغرافية الشعر لأنماري شيمل، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن.
١٩- حديث الإفك للحافظ عبدالغني المقدسي بتحقيق إبراهيم صالح، دار البشائر، دمشق ط الأولى ١٩٩٤م.
٢٠- حديث الإفك للحافظ عبد الغني المقدسي بتحقيق سليم الهلالي غراس للنشر والتوزيع، الكويت ط الأولى / ٢٠٠٥.
٢١- حسان بن ثابت حياته وشعره للدكتور إحسان النص، دار الفكر، سورية ط. الثالثة ١٩٨٥م.
٢٢- حياة محمد لالفونس دي لامار تين ترجمة د. محمد قوبعة، مؤسسة جائزة عبد العزيز البابطين، الكويت ٢٠٠٦ك.
٢٣- الدر المنثور في طبقات ربات الخدور للأديبة زينب بنت علي العاملية،

دار الكتب العلمية، بيروت، ط. الأولى ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.
٢٤- ديوان أبي بكر الصديق، دار صادر، بيروت ط. الثانية ٢٠٠٣م.
٢٥- ديوان أحمد محرم، مكتبة الفلاح، الكويت ط. الأولى ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م.
٢٦- ديوان أقمار مكة للشاعر عبد اللَّه باشراحيل مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، ط الأولى ٢٠٠٢.
٢٧- ديوان حسان بن ثابت، شرح عبد الرحمن البرقوقي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى ١٩٨٦.
٢٨- ديوان الخالدين لمصطفى عبد المولى، دار الفلاح- مصر.
٢٩- ديوان مجد الإسلام للشاعر أحمد محرم، مكتبة الفلاح - الكويت.
٣٠- ديوان من نبع القرآن للدكتور محمد رجب البيومي، دار الأصالة، الرياض، ط الأولى ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
٣١- ديوان من إشراقات السيرة الزكية للشاعر عزيز أباظة، مكتبة مصر، الفجالة.
٣٢- ديوان وفاء للشاعرة عفيفة الحصني، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة ١٩٦٦م.
٣٣- رجال من التاريخ للشيخ علي الطنطاوي، دار المنارة، جدة، ط السابعة ١٩٨٦م.
٣٤- سير أعلام النبلاء لشمس الدين الذهبي، مؤسسة الرسالة، بيروت.
٣٥- شعر ابن جابر الأندلسي للدكتور أحمد فوزي الهيب، دار سعد الدين، سورية، ط الأولى ١٤١٧هـ ٢٠٠٧م.
٣٦- صاحبة الحرير الأخضر للدكتور عبد الرحمن العشماوي، مكتبة

العبيكان، الرياض، ط الأولى ١٤٢٦هـ.
٣٧- الصديقة بنت الصديق لعباس محمود العقاد، دار المعارف، مصر.
٣٨- صوت الإسلام الصارخ للدكتور محمد رجب البيومي، دار الأدب الإسلامي، القاهرة، ط الأولى ٢٠٠٤م.
٣٩- طبقات الفقهاء للإمام الشيرازي، دار الرائد العربي- بيروت.
٤٠- في الأدب الإسلامي للدكتور محمد صالح الشنطي، دار الأندلس، حائل، ط الثانية ١٤١٨هـ.
٤١- في ظلال القرآن لسيد قطب، دار الشروق، القاهرة، ط الخامسة والعشرون ١٩٩٦م.
٤٢- العوائق لمحمد أحمد الراشد، دار المنطق، ط ١٤١٥هـ-١٩٩٤م.
٤٣- لقاء العشر الأواخر في المسجد الحرام (٣٣)، لمجموعة مؤلفين، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط الأولى ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.
٤٤- المختار من مناقب الأخيار لمجد الدين بن الاثير، مركز زايد للتراث والتاريخ، الإمارات العربية المتحدة، ط الأولى ٢٠٠٣م.
٤٥- المذاكرة في ألقاب الشعراء لمجد الدين النشابي الكاتب، دار الينابيع- دمشق.
٤٦- مشاهير شعراء العصر لأحمد عبيد، دار صادر، بيروت، ط الثانية ١٩٩٤م.
٤٧- معجم الأدباء الإسلاميين المعاصرين لأحمد الجدع، دار الضياء، الأردن، ط الثانية ١٤٢٥هـ-٢٠٠٥م.
٤٨- معجم الشعراء للدكتور كامل الجبوري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى ٢٠٠٢م.

٤٩- معجم علوم اللغة العربية للدكتور محمد الأشقر، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط الأولى ١٤١٥هـ-١٩٩٥م.
٥٠- نظام البردة لعلي أحمد باكثير، مكتبة مصر- الفجالة.
٥١- الوافي بالوفيات للإمام صلاح الدين الصفدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت/ ط الأولى.
٥٢- يوسف الصديق شعراً ونثراً لمحمد عايش عبيد، دار الوفاء، المنصورة، ط الأولى ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.